# الملحـــق

## رثـــاء

### الدكتور إسماعيل أدهم

### خليل مطران

كان من أنبغ وأبلغ أدباء جبله . نشر فى المقتطف دراسة لشخصيتى ولشعرى لم يكتب مثلها فى العربية قبله . ثم جمعت هذه الفصول فى كتاب فخم . وهذا قبل أن اعرفه وألتقى به . وقد حظيت بأن رأيته مرة فى الإسكندرية فرأيت مصداقالما كنت قد سمعته عن سجاياه القويمة الأبية العجيبة . وبعد أشهر قليلة من تعارفنا نعى إلىَّ . وقيل إنه عجل القضاء لزهده فى متاعب حياة لم تطقها نفسه . رحمه الله .

تَدانَى فَحَيَّـى عَابِـــــراً وَتَنَاءَى ... شَبِيهاً بِطَيْفٍ فِى الغَـــدَاةِ تَرَاءَى
بِرَغْمِ أُولِى الأَلبَـابِ عَجَّـــلَ بَيْنَهُ ... وَكَانَ لَهُمْ ذُخْراً وَكَـــــانَ رَجَاءَ
أَتَاحَ زَمَانِى مَـــــرَّةً أَنْ رَأَيْـــتُهُ ... وَلَمْ يولِنِى بَعْدَ اللِّقَـــــاءِ لِقَاءَ
فَمَا رَاعَنِى إلا فَتًـــى فَـــى إِهَابِهِ ... شَهِدْتُ مَعًا شَيْخُوخَـــةً وَفَتَاءَ
أُطِيلَتْ بِعُثْنُونٍ أَسَـــــالَةُ وَجْهِـهِ ... وَفِى مِحْجَرَيْهِ كَوكَبَانِ أَضَـــاءَ (١)
تَضَاءَلَ مَرْمَى ظِلِّـــــهِ مِنْ نُحُـولِهِ ... وَطَبَّقَ آفَاقًا سَنًى وسَـــــنَاءَ
وَفِى صَدْرِهِ بَحْرٌ مِنَ العِلمِ لَمْ يَضِـــقْ ... بِهِ ذَلِكَ الصَّدْرُ الصَّغِـــيرُ إِنَاءَ
يَحِدُّثُ فِى رِفْقٍ وَلَيْسَـــــتْ أَنَاتُهُ ... تُثَبِّطُ عَزْمًا أَوْ تَعُـــوقُ مَضَاءَ
عَكُوفٌ عَلَى التَّحْصِيلِ مِنْ كُلِّ مَطْلَبٍ ... يُلِمُّ بِهِ مَهْمَا يَسُـــــمْهُ عَنَاءَ
جَنَى الرَّوْضِ مَا تَجْرِى يَرَاعَـــتُهُ بِهِ ... فَيَحْلُو شَرَاباً أَو يَطِيـبُ غِـذَاءَ
وَمَا تَقِفُ الأَلبَابَ مِثْـــــلُ بَيَانِهِ ... وَمَا شَـــرُفَ الآدَابَ وَالأَدَبَـــاءَ
يَغُوصُ عَلَى الدُّرِّ البَعِيـــدِ مَكَانُهُ ... فَيَجْلُوهُ لِلمُسْتَبْصِرِينَ جَـــلاَءَ
وَيَبْحَثُ عَمَّا يُفْقِدُ الجَهْـــلُ أَهْلَهُ ... فَيُهْدِى إِلَيهِمْ زِينَـــةً وَثَـــرَاءَ
وَيَحْرِصُ أَلا يُغمَطَ الفَضْـــلُ حَقَّهُ ... وَيَعْدَمَ بَيْنَ العَالَمِيـــنَ جَـــزَاءَ
فَإِنْ يُذْكَرِ الفَضْلُ الَّذِى فَبِهَ ، يَعْـتَذِرْ ... كَأَنَّ بِهِ مِنْ أَنْ يُذَاعَ حَيَـــاءَ

* * *

أَأَنْسَى " لإِسْمَاعِيلَ " مَا عِشْـتُ مِنَّةً ... أَفَدْتُ بِهَا أَحْـدُوثَةً وَبَقَـــاءَ ؟
حبانى بها قبل التعارف مضـــفيا ... عَلَىَّ بما لا أستحـــق ثنـــاء

---

(١) عثنون : لحيـــة .

وَقَدْ عَاقَ شُكْرِي عَنْهُ فَرْطُ احْتِشَامِهِ ، فَهَلْ مُجْزِئٌ شُكْرٌ يَجِئُ رِثَـــاءَ ؟
وَهَيْهَاتَ أَنْ يُوفَى بِشِعْـرٍ جَمِيـلُهُ وَلَوْ كَانَ دِيـوَانا لَقَلَّ وَفَـــاءَ

* * *

أَلاَ أَيُّهَا الغَـــادِي وَلَيْسَ بِآسِفٍ وَلا مُتَقَاضٍ لَوْعَـةً وَبُكَـــاءَ
تَرَفَّعْتَ عَنْ أَنْ تَقْبَلَ الضَّيْمَ صَـابِراً عَلَى زَمَنٍ أَحْسَنْتَ فِيـهِ وَسَـاءَ
وَجَنَّبَكَ العَيْشَ احْتِقَارٌ لِشَـــأْنِهِ إِذَا مَا غَدَا فِيهِ العَفَـافُ عَفَـــاءَ
مَكَانَكَ فِي الدُّنْيَا خَلا غَيْـرَ أَنَّهُ مَلِيءُ النَّوَاحِي عِـــزَّةً وَإِبَـــاءَ
بِبَيْنِكَ مُخْتَاراً صَدَمْتَ عَقِيـــدَةً وَأَوْقَعْتَ حُكْماً حَيَّـــرَ الحُكَمَـــاءَ
وَكُنْتَ عَلَى يُسْرِ الأُمُورِ وَعُسْـرِهَا تُنِيرُ بِعَالِي رَأْيِـــكَ الحُصَـــفَاءَ
فَغَالَيكَ الطَّبْعُ العَيُوفُ عَلَى الحِجَى وَأَصْدَرَ مِنْ قَبْلِ القَضَـــاءِ قَضَـاءَ
أَمِنْ خَطَلٍ طَرْحُ الإِنَاءِ وَمَـــا بِهِ مِنَ السُّؤْرِ لَمْ يَطْهُرْ وَقَـــلَّ غَنَاءَ ؟ (١)
وَهَلْ تَرْتَضِي نَفْسُ العَزِيزِ إِقَامَـــةً عَلَى ذِلَّةٍ وَالـــدَاءُ عَـــزَّ دَوَاءَ ؟
إِذَا هَانَ فِي حُبِّ الحَيَاةِ هَوَانُـــهَا فَلَيْسَ لأَرْضٍ أَنْ تَكُـونَ سَـــمَاءَ
قَرَارَكَ وَلْتَرْعِ الخَلائِقُ سَمْعَـــهَا مَصَاقِعَهَا الهَادِيـــنَ وَالسُّـــفَهَاءَ (٢)
سَتَبْقَى لِنَفْعِ النَّاسِ صُحْفٌ تَرَكْتَـهَا وَلَنْ يَذْهَبَ الإِرْثُ النَّفِيـــسُ جُفَاءَ
وَتَذْكُرُكَ الأَوْطَانُ يَوْمَ فَخَارِهَـــا إِذَا ذُكِرَتْ أَفْذَاذَهَـــا النُّبَغَـــاءَ
وَإِنِّي لَمَحْزُونٌ عَلَيْكَ ، وَجَـــارِعٌ ثُمَالَةَ كَأْسِي حَسْـــرَةً وَشَقَـــاءَ
أَقُولُ : عَزَاءَ الآلِ وَالصَّحْبِ وَالحِمَى ، وَلِي وَلأَمْثَالِـــي أَقُولُ : عَـــزَاءَ
قَرَابَطَةُ اسْمَيْنَا أَرَاهَـــا قَرَابَةً وَاعْتَدَّهَا فَوْقَ الاخَـــاءِ إِخَـــاءَ

---

(١) السؤر : البقية والفضلة .
(٢) مصاقعها ك جمع مصقع وهو العالى الصوت

## " ظمأ الروح " (*)

كيف تُروى وليس فى الأكواب ... جرعة من غواية الأراب
ظمأ الروح فلّ من عزمة الروح ... وألوى بكبرياء الشباب
قد أردتَ الحياة دون نقاب ... وأردنا الحياة خلف نقاب

* * *

أين نادٍ يفيض عن جانبيه ... ما بصدر الربيع من أطياب
الندامى طوت عليه أغانيها ... ونامت عن عربدات الشراب
وشظايا الأقداح ليس عليها ... أثر من مراشف الأحباب
وبقايا الطيوف باهتة الألوان ... مشبوحة عُلّى الأهداب
نتلهّى بها ... كما يتلهى القفر ... فى نسجه برود السراب !!!

ابو ريشه

(*) الحديث ك العدد العاشر ، تشرين الأول ، تشرين الثاني ، ١٩٤٠ .

## الفكر الهامد (*)

هذه نزوة ألم صادقة من الأستاذ الصيرفى يرثى فيها صديقه ويلمح إلى قصة حياته بشعر عذب رائع الآيات ، وقد كانت تربط الصيرفى بأدهم أواصر صداقة متينة وكان معتزما أن يكتب دراسة مطولة عن شعره .. ولكن قدّر ان تحرم العربية هذه الدراسة الممتعة من شاعر من أرق الشعراء الوجدانيين .

عجلت رحلك دون أن تلقـــانى ... يا أطيـــب الإخـــوان والخلان
ما كنت أحسب أن وعـــدك باللقى ... وعد الرؤى خدعـــت به العينـــان
نبأ فجعـــت به وأى فجيعـــة ... ألقى علىّ كلاكـــل الأحـــزان
ما زلت أقرؤه وأخـــدع ناظرى ... حتى تحطم فى الشجـــون كيـــانى
أنا من فقدت بك الوفـــاء مجسما ... وفقدت بعـــدك راحة الســـلوان
عمر كلمّاع الشهاب طـــوى الدنى ... حتى تعثر فى دجـــى الأشـــجان
لو مُدّ فيه أتى بأروع آيـــة ... لكنـــه قدر من الرحمـــن
لى فيك أخلاق كســـيماء الضحى ... وشمائل ورديـــة الأردان
وإباء نفسى لم يطـــأطئ هامـــه ... عنت الســقام وغـــارة الحدثـــان
وذكاء ذهن كالأشعـــة نافـذ ... فيما وراء دقائـــق العرفـــان
وطموح نفس فى توقـــد خاطـر ... وصفاء فكر فى اتقـــاد جنـــان
وصراحة كالشمس تلقـــى رأيـــها ... حرا بغيـــر تملق ودهـــان
ما قلت فى السر الحصيـــن مقالـة ... غير الذى تبديـــه فى الإهـــلان
مجد بنيت وما انتظـــرت تمامـه ... هذا البنـــاء .. فأين أين البانى ؟
لى فيك هاتيك المواهـــب كلهـا ... أما العقائـــد فهى للديّـــان
فى ذمة القدر المعجـــل همـــة ... جبـــارة فى هيكـــل متفانـى
السقم ناواه فما استخـــدى لـــه ... والســقم جبـــار علـــى الأبدان
ضاقت بها الدنيا وضاق خضمـــها ... عن ضـــم بحر دائم الفيضـــان
لما اقتحمت على العقائـــد بابـــها ... وبســـطت رأى البـاحث الحيـران
قامت عليك قيامـة الدنيـــا لـه ... والدين أثمـــن ثروة الانســـان
رأى رأيت وللـــورى هفواتـــهم ... والمرء مهمـــا اشـــتد فى النـزوان
فهو الضعيف أمـــام قـــدرة خالـق ... وســـعت جلالتـه مدى الأكـوان

(*) الحديث : العدد العاشر ، تشرين الأول ، تشرين الثانى ، ١٩٤٠ .

لو ناقشوك وجاوبوك بحكمة ... وهوادة وترفق وليان
لرجعت عن رأى تبين خطؤه ... ونزلت من دعواك بالإذعان
لكنهم شنوا عليك حروبهم ... ولقوك بالإيذاء والعدوان
ماالشك شكك إنما هى نزعة ... من عالم باغ على الأديان
وجدتْ إلى النفس الطريئة منفذا ... فتسللت منه إلى الوجدان
والشك سلطان اذا ما شيته ... سدت عليك منافذ الإيمان
والنفس فى فجر الشباب صنيعة ... لجديد رأى أو لسحر بيان
سابقت حينك يا ضحية فرية ... وأدت شبابك وهو فى الريعان
هاجت شعورك واستثارت حرة ... ثارت على القضبان والسجان
ما ضاق صدرك والسقام تهده ... إلا بقول منافق أو شانى
قوم أثاروها عليك نكاية ... لشفاء ما في النفس من أضغان
زعموك داعيه ... وانت مُبرأ ... عن كل ما زعموا من البهتان
الحقد داء الشرق اعيا برؤه ... طب الأساة وحكمة الكهان
العبقريه من أذاه جريحة ... فى كل مرحلة وكل زمان
منسية الآثار ضائعة الصدى ... مخذولة الأنصار والأعوان
جحدوا نبوغك وادعوه خدعة ... والسن بعض وسائل النكران
ما السن ميزان النبوغ وإنما ... هو نعمة تسمو على الأوزان
كم فى الشيوخ المعرقين سذاجة ... ورجاحة فى الفتية الشبان
خذلوك والدنيا اذا لم تسقها ... كأس الرياء جزتك بالخذلان
من لى بليلات المصيف وأنسها ... وظلال أيام خلون حسان
ومجالس اللهو البرئ يزينها ... عقل الحكيم وروعة الفنان
ومطارح الحلم البعيد ترودها ... منا رغائب فى غد وأمانى
كاسان من صفو المنى سقياهما ... قلبان فى الإحساس مؤتلفان
مرت ليالى الصيف وهى سريعة ... ومضى ربيع العمر دون ثوان
وتفرق الأحباب عن أحبابهم ... فإذا الذى كانوا رؤى وسنان
طوى البساط وغيبت أحلامه ... فاليوم لا كأسى ولا ندمانى

حسن كامل الصيرفى

" .. ولعل أكثر الأدباء فى مصر اتصالا بالفقيد الشاعر المعروف الاستاذ حسن كامل الصيرفى ، فقد كان الفقيد كثير الكتابة إليه والتفتح له عن طوايا نفسه وفكره وعن نواحى نشاطه ، وكان أدهم يعجب بالصيرفى إعجابا وافرا ، وفهمت منه أن له دراسة خاصة عنه لأحدى المجلات العربية فى أمريكا ، ولعلها مجلة " العصبة " وكان منكبا على قراءة شعرالصيرفى لاستكمالها ، كذلك كانت له دراسات لم تكمل بعد عن ناجى وصالح جودت والشابى والسحراوى والسحرتى وحبشى وغيرهم من شعراء " ابوللو " النابهين وكان يشغل نفسه بأكثر من دراسة فى وقت واحد ، ولا أدرى ما مآل هذه المخطوطات بعد وفاته " .

" الدكتور ابو شادى فى جريدة البصير "

## الســـتار (*)

### للشاعر زكى المحاسنى

موج هنالك نفى شفـــا مصـــر ... لفت به حريـــةُ الفكـــــر
وفتى كأن الفنّ كـــــــونه ... ليجئ باقعة علـــى الدهـــر
جاء أو رمـــى الضفاف خطوته ... يُنبى بما فى جماجـــم الصدر
ضلّ الطريق بمجـــــده فدنا ... للبحر يوغل فى مـــدى البحر
لم يرضه الماء الغشـــــوم ولو ... واراه أغلاه علـــى الـــــدرّ
اسكندرية لمـــح خاطـــره ... عند الوداع وســـاعة السفر

* * *

هل أخته عند المســـــاء أتت ... والموج مرتطمٌ علـــــى الصخر
فى وجهها هول المصـــاب وفى ... كلتا يديها خصلتـــــا شعر
صاحت فهب الناس فانتشـــلوا ... ذاك العظيم الباســـم الثغر
يستقبل التخليد خالصـــــة ... أردانه من عالـــــم الشر

* * *

بأبى فديتُك " أدهمـــا " ولنا ... دمع عليك يســـيل فى الشـــعر
خطرات فنك فى مرابعـــــنا ... لما تزل كبواكـــر الزهـــــر
النقـــــد ولاك القياد وكـــم ... لك فـــــى دنى الأداب منْ خبر
يا واحد الكتـــاب فى قلـــم ... كل اللغـات لديه فـــى سـطر

* * *

قل لى وهذا الغـــيب فاصـــلنا ... ماذا وراء المـــــوت من سر
املأ ديار المـــوت رائعـــة ... ببيانك المحفـوف بالســـحر
الشامتون لعـلـهم ندمـــو ... يدرون أنـك كوكـــب العصر
سيرون أنك فى الجنـــان فتـى ... تعتاده الأمـــلاك بالطـــهر
الدين للخـــلاق يعرفـــه ... فينا ويجـــزيه لـــدى الحشر
كم كافر عنـــد الالـــه أخو ... دين ، وذى ديـــن أخو كفـــر

* * *

يا فَلْتَة الإبـــداع ساطعـــة ... ثم انطفـــت فى زهـــوة العمر

---

(*) الحديث : العدد العاشر ، تشرين الأول ، تشرين الثانى ، ١٩٤٠ .

## " النسر المنتحر "

جاء دنياه مكـــرها منســـاقا ... وقضى عمره يرجـــــىّ انعتاقا
ملهًا وهو فى غضـــون صبـــاه ... والصبا لم يـــزل له توأقـــــا
خبر الكون عالمـــا وأديبـــــا ... فازدرى الخلـــــق وازدرى الخلاق
ورأى حاله سجينـــا بـــأرض ... يزهق الروح سجنـــــها إزهـاقا
فاعتراه شبه القنوط فهزّ النســـــر جنحيـــه مذبة الكـــون ضـــاق
وسعى دون غيـــــره لانفكاك ... من غلـــول تكســـر الأعنـاق

* * *

مل دنياه والزمـــــــان ربيع ... والثلاثـــون تضفر الأطـــواق
فى رياض من الهـــــوى وجنان ... لاح منها ما يفتـــــن العشـاق
واللذاذات مغريـــــات تناديه ... إليها وتوقـــظ الأشـــواق
سكبت خمرة الحيـــــاة بكأس ... ودعتـــه ليشرب التريـــاق
فإذا الكأس بألدمـــــــوع تملّت ... والطلاء استـــحال ماء زعاقـا

* * *

حلّق النسر فى السماء عســـاه ... أن يســـرى النجم باسما براقـــا
ويروىّ من السنا مقلتيـــــه ... بعد أن ذاب للســـناء اشـــتياقا
واذا صفحة السمـــاء بســـاط ... من ظلام يُحجّـــب الأفـــاق
سترتها من الشكـــوك غيـــوم ... رحن ينسقن فى الســـماء انسياقا
ظلم أطبقـــت على الـروح حتى ... حرمتها الرجـــاء والإشـــراق
شعر النســـر بالعـــياء ولاقى ... فى عياه ما يبعـــث الإشـــفاق

* * *

أيوارى مـــــع الأنـــام بأرض ... ينبت الشـــرّ تربها والنـــفاق
وهو بالأمـــس كان يحيا عليها ... فى سجـــون يروم منهـــا انطلاقا
خفض الطرف باحثا فتبـــــدى البحـــــر زخـارا لايحـــد انســـحاقا

---

(*) الحديث : العدد العاشر ، تشرين الأول ، تشرين الثانى ، ١٩٤٠ .

وشراع الخلاص يجرى عليـــــه ... ويمضـــى بقربه الأحـــــداق

فارقى النصـــر فى الخضم صريعا ... بعد أن كـــــان للعلى سبّاقـــا

وغدا ذلك الخضـــم ســـــريرا ... للذى شـــــق للردى أشـــــداقا

ضمه مثلما يضـــــــم الدرارى ... فاحتـــــوى العلم واحتوى الأخلاق

حلب : شارل خورى

## نهاية أديب ...

بقلم أحمد حسن الزيات (*)

في الساعة السابعة من مساء يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر يوليه ، لفظ البحر على ساحل " جليم " بالاسكندرية جثة كانت في رونق العمر وان بدا على محاسرها مسحة من شفوف الهم وشحوب الألم . لم يكد يلقيها الموج الصاخب المتعاقب بالرمل المستوى المنضوح حتى أخذتها عيون الحرس الساحلى ، فظنوها لأول وهلة ضحية من ضحايا الحرب الإنجليزية الإيطالية في هذا البحر المسجور بالعذاب والموت ، ولكنهم علموا من بذلة الغريق ومعطفه وسلامة بدنه أنه مدنى سقط في البحر أو القى فيه . فلما فتشه رجال الشرطة ليكشفوا عن هويته عثروا في جيب معطفه على كتاب منه الى رئيس النيابة يقول فيه :

" إنه قتل نفسه بالغرق يأسا من الدنيا وزهـــادة في العيش ، ويوصـــى بأن يحـــرق جسده ويشرح رأسه " .

إذن هو رجل من رجال الفكر والرأى ، جعل للحياة مثلا لم يحققه فهو يجتويها ، ورأى في العقيدة رأيا لم يرقه فهو لا يرتضيها ، واعتقد ان في مخه عبقرية فهو يرجو أن يظهر بالتشريح خافيها .

فهل تدرى من هو ؟

هو الدكتور " اسماعيل أحمد ادهم " عضو اكاديمية العلوم الروسية ووكيل المعهد الروسى للدراسات الاسلامية ، كما كان يخبر عن نفسه ، وهو صاحب المقالات العلمية والنقدية في الرسالة والمقتطف ، ومنشط الحركة الادبية في الاسكندرية وجمعية الثقافة . لمجله أبوان مختلفان : تركى وروسية ، ثم غذى في يفاعته بثقافة البحر الأسود ، فتأثر بنفسية الترك الجمهورية ، وعقلية الروس الشيوعية ، وتزوج ابوه مرة أخرى من مصرية فعاش معه في الاسكندرية حينا من الدهر تعلم فيه العربية ، ثم ترك له بعد موته بيتا صغيرا كان يعيش على اجرته هو واخته عيش الكفاف الضيق . واعتراه داء الســـل فكان يراوغه بالســـكنى في جفاف (أبو قير) ، ولكنه كان مضطرا إلى أن يشق طريقه في زحمة الحياة بسن القلم : فكتب وألف وخاضر وناظر ، حتى كان له في كل كتاب رأى ؛ وعلى كل مسألة إعتراض ، ومع كل كاتب موقف . وأعانه على هذا الجهد العظيم قريحة طيعة وبصيرة ناقدة وعزيمة نافذة وطبع عمول ، ومع ذلك ظل في عزلة عن القلوب المؤاسية أو المشجعة من جمهرة القراء وقادة الأدب ، لأن نشأته اللادينية ونزعته العلمية ، وطبعه الجرئ الحر ، وأسلوبه الجاف القلق ، كانت تجعل لسطوره ظلالا من الالحاد والمادية والعثاثه تبغّضها الى صاحب الدين وصاحب الفن ثم وصل اسبابه ببعض ذوى القلم النابه فاستخدموه فيما لا يكسبه المودة والعطف . وجابه قوما من المتصوفة وطلاب العلم بوقاح الرأى في الدين فأذوه في بدنه وسمعته ووجد رضى نفسه وراحة عقله في تسليط الطبيعة على العقيدة وتحكيم الفلسفة في الشعور فساءت ظنون الناس فيه ، وأرهفت الألسن عليه ، حتى عجز أن يعيش على ثمرات فكره .

---

* الرسالة : ٥ أغسطس ١٩٤٠ / ص ١٢٤٥ .

وكان المرحوم اسماعيل أدهم عفيف النفس يقتنع بميسور الرزق ، ويتكرم عن طلب المعونة ولو كانت جزاء على عمله . وكان مرضه الدخيل المزمن يقتضى وفرة الغذاء وجودة الهواء وراحة الجسد ، ولكنه كان لا يجد الكفاف لضيق مضطربه ولا ينال الدعة والجمام لقوة عزمه ، فتظاهرعليه الداء والشقاء والاباء واليأس من روح الله حتى زلزلت هذه المحن فى نفسه الثقة ، وأذهبت عن قلبه السكينة .

ونكبت الاسكندرية الجميلة بالغارات الجوية الايطالية ، فجلا أكثر الساكنين عن الثغر المروع ، فاقفرت المنازل حتى منزل أدهم وهو مرتزقة الوحيد ، فلم يكن بد من هذه النهاية المحزنة التى انتهى اليها هذا الأديب البائس .

كان الدكتور أدهم - غفر الله له - شديد الذكاء اصيل العقل رياضى الفكر واسع الثقافة لا يؤمن الا بالعلم والمنطق . وقد أضاف إلى ثروة الأدب العربى الحديث جهدا مهما اختلفت الآراء فيه فان له قيمته . وكان من الممكن أن يعيش فى ظلال أدبه رخى البال مكفول الرزق لو انه وصل ما بينه وبين الله . ولكنه خضع لسلطان طبيعته ونشأته فعالج الموضوعات الاسلامية معالجة الملحد المخلص الذى يجد سعادته فى الكفر ورسالته فى التكفير . ولو أنه خادع الناس عن عقيدته كما يفعل بعض الأكياس من الأدباء ، لأدرك السلام فى الأرض وإن لم يدركه فى المساء ، ولكنه كان أشبه بشهداء الكفر الذين يجدون اللذة فى الألم ، ويبتغون الخلاص فى الموت .

رحم الله الدكتور أدهم حسب أن أرقام العلم وأقيسة المنطق هى كل شئ فى تقدير العلوم واكتناء المجهول ، فاعتمد فى أدبه على العقل القعيد الذى يرى ولا يعاير ، واتكأ فى فلسفته على الفرض البعيد الذى يطير ولا يرى ، وتحامل فى معتقده على الضمير البليد الذى خبا وهجه بين فتور الخيال وخمود العاطفة ثم غره ان معارضة الدين سبيل من سبل الشهرة فاوغل فيها بعنف حتى انقطع فى صحراء الحياة عن الله والناس . فهولا يملك النور الذى يضئ ظلمة القلب ، ولا الرجاء الذى يخفف وطأة الكرب ، ولا الحب الذى يؤنس وحشة الطريق وحكم القدر على السائر فى الظلام والوحدة أن ينزلق من صخرة الحرمان الى لجة العدم ، وهناك لا يدركه إلا رحمة الله التى وسعت كل شئ وشملت كل شخص !

إن الأدب الملحد قد يعيش فى الغرب لأن الظلام يمده الظلام ، ولكنه لا يستطيع أن يعيش فى الشرق لأن الظلام ينسخه النور !

( المنصورة ) أحمد حسن الزيات

## على الهامش (*)

## الدكتور ادهم

مات الدكتور اسماعيل أدهم منتحرا باسفكسيا الغرق فى الاسكندرية ، فعم الحزن والأسف كل من عرفه وأدرك غزارة علمه ودقة مباحثه وما كان ينتظـر أن يؤديه من خدمات فى عالم الفلسفة والأدب والتاريخ .

فالدكتور أدهم مصرى تركى ، سليل بيت اشتهر أهله فى ميدان السيف والقلم فأبوه احمد أدهم بك كان اميرالاى فى الجيش التركى . وجده اسماعيل أدهم بك استاذ الأدب التركى فى جامعة برلين وجد أبيه ابراهيم أدهم باشا مدير ديوان المدارس المصرية " وزارة المعارف " فى عهد محمد على .

ولد الدكتور أدهم فى مدينة الاسكندرية وتلقى دروسه الابتدائية فى مدارسها ثم سافر الى استامبول ودرس فيها علومه الثانوية وحصل على البكالوريـــا العلمية سنة ١٩٣١ بتفوق فارســـل فى بعثة الى روسيا . ونال من جامعة موسكو دكتوراه العلـــوم على رسالتـــه فى " ميكانيكـــا جديدة مستندة الى حركة الغازات وحسابات الاحتمال " .

ثم اشتغل فى معامل البحث الطبيعى فى مدينة لينغراد ، فاستاذا مساعدا للطبيعة النظرية فى معهد الطبيعيات الروسى الملحق بكلية العلوم فى جامعة موسكو فاستاذا للرياضيات العالية فى جامعة لينغراد .

وفى تلك الفترة وضع كتابيه " العلم الرياضى والطبيعيات " و " نظرية النسبية " وكلاهما بالروسية مع مقدمة بالإيطالية .

وتوالت رسائله الى الجمعيات العلمية واخصها اكاديمية موسكو العلمية واكاديمية العلوم الروسية المتحدة للجمهوريات السوفيتية . وفى هذه الرســـائل مباحـث مختلفـــة فـــى " بناء الذرة " و " التكافؤ الذرى " و " ميكانيكا أنيشتين " .

وفى يوليو سنة ١٩٣٤ رسالة علمية رفعت مقامه فى عيون علماء المانيا فدعى لإلقاء محاضرات فى جامعات برلين وكونبكسبرج وميونخ وفينا .

ثم انتخب عضوا أجنبيا فى أكاديمية العلوم لجمهورية السوفيت المتحدة التى تضم مئة من صفوة رجال العلم فى العالم عامة وروسيا خاصة .

---

* الأهرام : ٣ اغسطس ١٩٤٠ .

ودعى إلى تركيا ليشغل كرسى الاستاذية للرياضيات العالية فى معهد أتاتورك فى أنقرة هذا هو الدكتور اسماعيل أدهم النابغة الذى حصل من العلم فى شبابه ما لم يحصل عليه غيره ونال من تقدير علماء العصر ما لم ينله شرقى قبله .

وعرف الأدباء والمؤرخون فضل الدكتور أدهم ، منذ عهدت اليه جامعة فريبورج الاشراف على الطبعة الأخيرة من كتاب المستشرق سبرنجر عن حياة محمد عليه السلام ، فاخرجه زاخرا بالملاحظات والانتقادات العلمية .

وأخرج بالتركية كتابه " تاريخ الاسلام " برعاية جامعة " تمحيص التاريخ الشرقى " وفى أوائل سنة ١٩٣٦ انتخب وكيلا للمعهد الروسى للدراسات الاسلامية . وأنعمت عليه جامعة موسكو بالدكتوراه الفخرية للأدب والتاريخ الاسلامى والآداب العربية .

وجاء إلى مصر سنة ١٩٣٦ واشتغل بالأدب . فنشر رسالته " من مصادر التاريخ الاسلامى " فصادرتها الحكومة . ولقى من جرائها كثيرا من المتاعب .

وغمر برسائله العلمية والأدبية الدقيقة مجلات " الرسالة " و " ادبى " و " الإمام " و " المقتطف " و "المكشوف " البيروتيه ، و " الطليعة " الدمشقية ، و " الحديث " الحلبية و " العصبة " البرازيلية .

من أهم ما كتبه من الدراسات " الزهاوى الشـــاعر " بالعربية و " ابو شادى الشاعر " بالانكليزية و " طه حسين " و " توفيق الحكيم " و " علم الانساب العربية " و " عبد الحق حامد ، الشاعر التركى " .

وكتب بحثا عنوانه " لماذا أنا ملحد " كان موضوع مؤاخذه أدبية . ورد عليه صديقه الاستاذ الدكتور احمد زكى أبو شادى برسالة عنوانها " لماذا أنا مؤمن " .

وآخرمباحثه كتاب عن الاستاذ شاعر القطرين خليل مطران كان ينشر بالتوالى فى مجلة " المقتطف " وسألته عنه فى الاسكندرية منذ شهرين فاجابنى بانه ينتظر اتمامه واخراجه قريبا . وكان يشرف على مراجعته الاستاذحسن كامل الصيرفى .وكان يتعجله فى اتمامه قبل شهر يوليو الماضى لأنه لا يعرف ما يأتى به الغد .

وكان الدكتور أدهم سريع الخاطر ، يكتب رسالتين فى وقت واحد . ويعيش من ريع ملك صغير له فى الجمرك . وقد أصيب بالسل ولكنه لم يتأفف ولم يتململ .

وقبل وفاته بيوم كان مع جماعة من اصدقائه وهم الدكتور عبد الغنى مصباح ومصطفى جميل بك والاستاذ خليل شيبوب . وشكا لهم سوء صحته . ولم تكن تظهرعليه لوائح الاضطراب .

وبعد ، فقد أدخل الدكتور أدهم أسلوبا جديـــدا فى البحث ورفـــع رأس الشرق عاليا فى دوائر العلم الاوربية .

ولا جدال فى أن الزمن ضنين بمثله وبمن يؤرخه ويجمع شتات مباحثه على ما فعل بأدباء العصر .

" صحافى عجوز "

سيرة حياة *

انتحر الدكتور اسماعيل أدهم الباحث المعروف غرقا فى البحر الأبيض المتوسط فى الساعة السابعة من مساء يوم الثلاثاء ٢٣ تموز سنة ١٩٤٠ يأسا من الحياة وزهدا فيها . وقد عثر البوليس فى معطفه على كتاب منه الى رئيس النيابة يخبره بأنه انتحر لزهده فى الحياة وكراهته لها وأنه يوصى بعدم دفن جثته فى مقبرة المسلمين ، ويطلب احراقها وأن يشرح رأسه.

والدكتور أدهم أعزب ، فى الثامنه والعشرين من عمره ينتسب الى أصل تركى ولم يكن له عمل أو وظيفة ، بل كان يعول فى الحياة على ايراد منزل يمتلكه فى الاسكندرية . وكان يميل فى بحوثه إلى الفلسفة اللادينية .

- الصحف المصرية -

عرف قرآء العربية ، وقرآء "الحديث " بصورة خاصة الشئ الكثير عن الدكتور اسماعيل أدهم بما نشرنا له من مباحث ودراسات فى مختلف المواضيع العلمية والأدبية والتاريخية فعرفوا فيه الباحث الواسع الإطلاع ، الغزير المعرفة ، الذى يعرض إلى موضوعه بطريقة علمية خالصة ومنهج دراسى بحت بعد أن يستوفى كل ما كتب عنه فى شتى اللغات ، لذلك كان لنبأ انتحاره صداه الأليم فى نفوس جميع من عرفوه أو قرأوا له ، لأنهم اعتبروا وفاته خسارة كبرى للفكر والأدب معا .

نعم . لقد عرف قراؤنا الكثير عن عبقرية هذا العالم المفكر ، فمنذ شعّ اسمه فى سماء مصر وهو يوافيهم بأثمن الدراسات الأدبية والمباحث التاريخية ، فدراساته عن اسماعيل مظهر وطه حسين ، وتوفيق الحكيم ، وشاعر الترك الاعظم عبد الحق حامد كانت من الظاهرات الفذة فى تاريخ الدراسات الأدبية وقوبلت من جميع الأوساط الفكرية بالترحيب والاكبار وهذا الذى جعل غير واحد من كبار الأدباء والمستشرقين ان يقدرها حق قدرها فاعتبرها المستشرق الروسى كزميرسكى من ادق الأبحاث التى عرفها عالم الاستشراق أخيرا ، وكتب المستشرق الالمانى كمبفاير يقول : " ولا تجد بين كتب المستشرقين ودراساتهم عن الأدب العربى المعاصر ما يقف الى جانب دراسات الدكتور ادهم من جهة تذوقها للروح العربية وتشربها جو الآداب العربية ، كماكتب المستشرق الايطالى جورجيا ديلافيدا يقول :" ان ما يلفت النظر من دراساته اسلوبها العلمى ، ومن جهة أخرى تغلغل الكاتب فى روح الأدب العربى مما لم يظفر بمثله فى دراسات باحث آخر " .

---

الحديث : حلب تشرين الأول " اكتوبر " ١٩٤٠ .

لقد كتبنا عن الدكتور ادهم مفصلا حين اصدرنا دراسته عن الدكتور طه حسين ولن نعيد هنا ما سبقت الاشارة اليه ، بل ننشر ما لم يعرف عنه بهذه السطور السريعة ...

هو شاب فى حدود الثلاثين ، مغولى الوجه والسحنة ، أقرب إلى القصر منه إلى الطول وإلى الهزال منه إلى البدانة ، تقرأ فى وجهه سيماء العلماء الذين أنهكهم الدرس واضناهم التفكير . سريع الحديث ، قوى الحجة ، ولوع بالجدل والمناظرة ، تؤاتيه الأفكار فتنطلق كالسهم .. يكتب فى اليوم اكثر من مأتى صفحة فى مختلف المواضيع ، يجيد الكتابة بالعربية والتركية والانكليزية ، وبالروسية والالمانية ، ويحيط بالفارسية والافرنسية والايطالية ، وهو فى هذه النواحى من نوابغ الشباب وآية فى قوة التفكير وفرط الذكاء .

لقد عمل الدكتور أدهم فى حقبة قصيرة ما يعمله العلماء الأفذاذ فى سنوات طويلة .. وكأنه عمل جهود أربعين سنة فى اربع سنوات .

أتراه أيقن أن مهمته قد انتهت .. وأنه أدى واجبه العلمى كمفكر فاستسلم لصخب الأمواج بهدوء واطمئنان أم ماذا ؟

يتحدث علماء النفس كثيرا عن النابغين فى سن مبكرة سواء فى الرياضيات أو فى الآداب أو الفنون ، ويردون ذلك الى خصائص ذاتية تميزهم عن الآخرين ، ولا شك أن الدكتور أدهم هو من هذا النفر ، فإن الناظر الى محصوله الأدبى العلمى وهو لم يتجاوز العقد الثالث من عمره ليعروه العجب وانى اؤكد أن ما لم ينشره من مباحث ودراسات اكثر بكثير مما نشره ، وما نشره فى العربية هو جزء من كل مما نشر فى سائر اللغات .

* * *

مولده ونشأته :

ولد الفقيد فى ١٧ شباط سنة ١٩١١ بمدينة الإسكندرية من أب تركى وأم المانية فوالده احمد بك أدهم كان من أمراء اللواء فى الجيش التركى سابقا ووالدته السيدة ايلين فانتهوف كريمة البروفسور فانتهوف الشهير عضو أكاديمية العلوم البروسية .

وقد تلقى الطفل أدهم دراساته الأولى فى مصر ، والثانوية بين مصر وتركيا والعالية فى روسيا ، وكان أول البكالوريا التركية فقدتخرج من كلية العلوم التركية عام ١٩٣١م حائزا درجة بكالوريوس علوم ، وهو فى العشرين من عمره فأوفدته الحكومة التركية الى روسيا للتخصص فى " بعثة تبادل الثقافة والصلات بين الدولتين . ولم يلبث سنة وبعض السنة حتى نال الدبلوم العالى من معهد الطبيعيات الروسية عام ١٩٣٢ وتقدم لنوال الدكتوراه من جامعة موسكو فظفر بها سنة ١٩٣٣ بتفوق .

ويصف الدكتور أدهم نشأته الأولى والظروف التى لابست طفولته وحياته الفكرية بقلمه فيقول :

" .. فى الواقع ، أننى درجت على تربية دينية لم تكن أقوم طريق لغرس العقيدة الدينية فى نفسيى ، فقد كان أبى مسلما من المتعصبين للإسلام والمسلمين ، وأمى مسيحية بروتستانتية ذات ميل لحرية الفكر والتفكير ، ولا عجب فى ذلك فقد كانت كريمة البروفسور وانتهوف الشهير ، ولكن سوء حظى جعلها تتوفى

وأنا فى الثانية من سنى حياتى . فعشت طفولتى حتى أواخر الحرب العظمى مع شقيقتى فى الآستانة . وكانتا تلقنانى تعاليم المسيحية وتسيران بى كل يوم أحد الى الكنيسة أما أبى فقد انشغل بالحرب وكان متنقلا بين ميادينها فلم أعرفه أو أتعرف اليه إلا بعد ان وضعت الحرب أوزارها ودخل الحلفاء الآستانة . غير أن بعد والدى عنى لم يكن ليمنعه عن فرض سيطرته هلى من الوجهة الدينية ، فقد كلف زوج عمتى وهو أحد الشرفاء العرب أن يقوم بتعليمى من الوجهة الدينية . فكان يأخذنى لصلاة الجمعة كل يوم جمعة ويجعلنى أصوم رمضان وأقوم بصلاة التراويح ، وكان هذا كله يثقل كاهلى كطفل لم يشتد عوده بعد ، فضلا عن تحفيظى القرآن " .

وبعد أن يصف كيف حفظ القرآن وهو ابن عشر سنوات وكيف برم بالقيود والمواضعات الدينية وكيف تمازجت التعاليم الإسلامية والمسيحية فى نفسيته فجعلته يضيق بها وهو طفل يقول :

" كانت مكتبة والدى مشحونة بآلاف الكتب وكان محرما على الخروج والاختلاط مع الأطفال الذين هم من سنى ، ولقد عانيت أثر هذا التحريم فى فردية تبعدنى عن الجماعة فيما بعد ولم يكن فى مستطاعى الخروج الا مع شقيقتى وقد ألفت هذه الحياة وكنت أحبها حبا جما فنقضى وقتنا معا نطالع ونقرأ ، فطالعت وأنا ابن الثامنة مؤلفات عبد الحق حامد وحفظت الكثير من شعره ، وكنت كلفا بالقصص الأدبية فكنت أتلو لبلزاك وجى دى موباسان وهيغو من الغربيين آثارهم ، ولحسين رحمى الروائى التركى المشهور قصصه . وأتى والدى الى الأستانة وقد وضعت الحرب أوزارها ودخل الحلفاء الأستانة ولكن لم يبق كثيرا ، حيث غادرها مع مصطفى كمال الى الأناضول ليبدأ مع زعماء الحركة الاستقلالية حركتهم ، وظللت أربع سنوات من سنة ١٩١٩ إلى سنة ١٩٢٣ فى الأستانة قابعا فى دارنا أتعلم الألمانية والتركية على يد شقيقتىّ والعربية على يد زوج عمتى ، وفى هذه الفترة قرأت لدارون " اصل الانواع و " أصل الإنسان " وخرجت من قراءتهما مؤمنا بالتطور ، وقرأت مباحث هكسلى وهيكل والسرليل وبيجهوت وأنا لم اتجاوز الثالثة عشرة من سنى حياتى . وانكببت اقرأ فى هذه الفترة لديكارت وهوبس وكانت . ولكنى لم أكن أفهم كل ما أقرأ لهم . وخرجت من هذه الفترة نابذا نظرية الارادة الحرة ، وكان لسبنوزا وارنست هيكل الأثر الأكبر فى ذلك ثم نبذت عقيدة الخلود .

" غير أن خط دراستى توقف برجوع والدى الى الأستانة ونزوحه إلى مصر واصطحابه أياى ، وهنالك فى الاسكندرية خطوت أيام مراهقتى ، ولكن أبى لا يعترف لى بحق تفكيرى ووضع أساس عقيدتى المستقبلة ، فكان يفرض على الاسلام والقيام بشعائره فرضا ، وأذكر يوما انى ثرت على هذه الحالة وامتنعت عن الصلاة وقلت له : إنى لست بمؤمن ، أنا دارونى اؤمن بالنشوء والارتقاء ، فكان جوابه على ذلك أن أرسلنى إلى القاهرة وألحقنى بمدرسة داخلية ليقطع على أسباب المطالعة ولكنى تحايلت على ذلك بأن كنت اتردد على " دار الكتب المصرية ، واطالع ما يقع تحت يدى من المؤلفات الألمانية والتركية يومى الخميس والجمعة وهما من أيام العطلة المدرسية .. وكنت اشعر وأنا فى المدرسة أنى فى جو أحطّ منى بكثير ، نعم لم تكن سنى تتجاوز الرابعة عشرة ولكن معلوماتى فى الرياضيات والعلوم والتاريخ تؤهلنى لأن أكون فى أعلى فصول المدارس الثانوية ، ولكن عجزى فى العربية والإنجليزية كان يقعد بى عن ذلك . وفى سنة ١٩٢٧ غادرت مصر بعد أن تلقيت الجانب الأكبر من التعليم الإعدادى فيها على يد مدرسين خصوصين ونزلت تركيا والتحقت بعدها بمدة بالجامعة وهنالك للمرة الأولى وجدت أناسا يمكننى أن أشاركهم تفكيرهم ويشاركوننى .

فى الآستانة درست الرياضيات وبقيت كذلك ثلاث سنوات . ثم غادرت تركيا فى بعثة لروسيا عام

١٩٣١ وظللت الى عام ١٩٣٤ هنالك أدرس الرياضيات وبجانبها الطبيعيات النظرية وكان سبب انصرافى للرياضيات نتيجة ميل طبيعى لى حتى لقد فرغت من دراسة هندسة أوقليدس وأنا ابن الثانية عشرة وقرأت لبوانكاره وكلاين ولوباجفسكى مؤلفاتهم وأنا ابن الرابعة عشرة ، وكنت كثير الشك والتساؤل فلما بدأت بهندسة أوقليدس وجدته يبدأ من الأوليات وصدم اعتقادى فى قدسية الرياضيات وقتئذ فشككت فى أوليات الرياضة وظللت مضربا مدة من الزمن عن تلقى الرياضيات منكبا على دراسة هويس ولوك وبركلى وهيوم وكان الأخير أقربهم لنفسى ، وحاول الكثيرون اقناعى بأن أكمل دراستى للرياضة ، ولكن حدث بعد ذلك تحول عجيب لا أعرف كنهه لليوم فالتهمت المعلومات الرياضية كلها فدرست الحساب والجبر والهندسة بضروبها وحساب الدوالى والتربيعات ولكن الشك لم يغادرنى فسلمت جدلا بصحة أوليات الرياضة ودرست ، وما انتهيت من دراستى حتى عنيت بأصول الرياضة ، وكان هذا الموضـــوع سبب نوالى درجة الدكتوراه فى الرياضيات البحتة من جامعة موسكو سنة ١٩٣٣م وفى نفس السنة نجحت فى أن أنال فى العلوم وفلسفتها اجازة الدكتوراه لرسالة جديـــدة عن " الميكانيكا الجديـــدة التى وضعتها مســـتندا على حركات الغازات وحسابات الاحتمال .. " .

وفى هذه السطور التى كتبها الدكتور أدهم يقلمه نقرأ سيرة فذّ تفتحت مواهبه فى سن مبكرة جدا . وكان تفوقه فى الرياضيات مدعاة لأن تلتفت اليه المؤسسات العلمية فى روسيا وان تقدره أعظم تقدير . وكانت رسائله العلمية عن " الحركات البرونية " وعن " بناء الذرة " وعن " التكافؤ الذرى " وعن " ميكانيكية أينشتين وملاحظات بال لوفيه على نسبيته " و " الفعل الكهرطيسى " من الممهدات لأن يفسح له المجال للاشتغال فى معامل البحث الطبيعى فى لينغراد ، وأن ينتدب ليكون استاذا مساعدا للطبيعيات النظرية بمعهد الطبيعيات الروسى الملحق بكلية العلوم بجامعة موسكو ، فاستاذ الرياضيات البحتة بجامعة سان بطريسبرغ ، وهذا الذى حمل جامعة انقرة أن تفاخر باحد أبناء بعثتها وان تدعوه ليشغل كرسى الأستاذية للرياضيات العليا فى معهد " كمال أتاتورك للبحث العلمى " فى أنقرة .

## من الرياضيات إلى الدراسات التاريخية

عرف الدكتور أدهم فى سنوات ١٩٣٣ - ١٩٣٥ من أذكى الشباب العلماء الذين يشتغلون بالرياضيات العلمية فى تركيا ، وقد دفعته دراسته هذه ان يدرس تاريخ العلم الرياضى ، ودفعه هذا ان يدرس المراجع العربية ليستطيع أن يعطى حكما صحيحا عن أثر العرب والمدنية الإسلامية فى الرياضيات وتقدمها ، وكان كثيرا ما يخلو إلى نفسه ويأخذ فى مراجعة النصوص العربية التى أثارت فى نفسه ميلا الى المباحث الشرقية ، فأخذ يطرقها فى كثير من الرسائل ويبعث بها الى المجلات الاستشراقية فى تركيا والمانيا وروسيا ، وسرعان ما عرف فى دوائر الاستشراق بنظراته التحليلية فعهدت إليه جامعة فريبوغ فى ألمانيا بأن يشرف على إخراج الطبعة الأخيرة من كتاب المستشرق المشهور سبرنجر عن النبى " محمد " فأخرجه مع كثير من الملاحظات والنقدات العلمية ، وكان كثيرا ما ينصرف فى أوقات فراغه لدراسة تاريخ العرب فى الجاهلية وحياة الرسول واخيرا أخرج كتابه " تاريخ الإسلام " باللغة التركية ، وقد نشرته جماعة " تمجيص التاريخ الشرقى " ثم انتخب وكيلا للمعهد الروسى للدراسات الإسلامية ، وأنعم عليه بدرجة الدكتوراه الفخرية فى الآداب والتاريخ الاسلامى والآداب العربية من جامعة موسكو [١] .

---

(١) مجلة ادبى .

ومع اشتغاله فى المباحث الأدبية والدراسات التاريخية فإنه لم يهمل المباحث الرياضية ، فقد اطلعنى مرة على كتاب له فى الرياضيات العليا تبلغ صفحاته الألف صفحة من القطع الكبير وقد هاله أن لا يجد الطابع العربى كما وجد الطابع الفرنجى يلتهم كل ما تخطه براعته - أقول مع انه أوغل فى المباحث الأدبية والدراسات التاريخية فقد ظل خاضعا لتفكيره " الرياضى فى كافة دراساته . وإلى هذا أشار فى مقاله الأخير الذى نشرته له " الحديث " عن أثر الرياضيات فى الحياة البشرية لاعتقاده ان التفكير الرياضى يعطى العقل عنصر التنظيم ويجعل التفكير يتعامل مع الأشياء على أساس صحيح : " فالرياضية تضع حدا بين عهدين فى تاريخ الفكر البشرى : عهد طغيان المعانى الجوفاء التى لا تدل على شئ وعهد اشتغال الفكر بالمعانى المنطقية وملاحظة المناطق التى يشغلها فى الخارج " (١) .

وكان - رحمه الله - يخضع كل دراساته إلى هذه القاعدة من حيث الترتيب وتنظيم مباحثه على أسس ثابتة كما كان يهوله من جهة ثانية أن ينقص كتاب العربية كفاية التأمل والمنطق العلمى .

تعلمه اللغة العربية :

بعد أن اخذ مركزه فى جامعة استانبول لتدريس التاريخ الاسلامى كان لابد له من ان يتوسع فى معرفة اللغة العربية ، كان يعرف مبادئها بحكم مصريته ودراساته الأولى ، ولكن غوصه فى النصوص الأدبية والدينية جعله ان يبادر الى دراساتها مجددا ، وكان مدعاة لأن تفتح أمامه منافذ واسعة لدراسة التاريخ الإسلامى كما سنشير اليه ، وقد كتب بصدد تعلمه اللغة العربية ما يأتى :

" ... إننى أيام تعلمى العربية على يد الأستاذ اسماعيل صائب مدير دار كتب بايزيد بالأستانة أخذت أكتب ملاحظاتى وآرائى وملخصات مراجعاتى على الكتب بالعربية لتستقيم يدى على الكتابة بها " وبذا تجمع لدى مجموعة ليست بالقليلة من المباحث المختلفة فى ضروب المعرفة المتنوعة باللغة العربية مما يسهل تنظيمها للدراسة بالعربية " (٢)

وظل حتى أيامه الأخيرة ، وبعد أن نشر عشرات الرسائل العربية ، يعترف بعجزه وقصوره عن مجاراة بلغاء الكتاب ويعترف بأنه أجنبى ودخيل على العربية وحكمه فيها حكم المستشرقين .

قدومه إلى مصر :

عاد الدكتور أدهم إلى مصر سنة ١٩٣٦ موفدا من كلية الآداب التركية الملحقة بكلية الآداب بجامعة الأستانة لدراسة الحياة الاجتماعية والأدبية فى البلدان العربية وقد اختار الاسكندرية مقرا له - وفيها بيت والده وبعض عقارات آلت اليه وإلى إخوته - وكان يقيم فى ضاحية أبى قير مستشفيا - وهى تبعد قرابة

---

(١) الحديث العدد ٦ سنة ١٩٤٠ .
(٢) من مصادر التاريخ الاسلامى ص ٦ .

ساعة فى الأوتوبيس عن الإسكندرية - أى أنه اختار مصر لثلاثة عوامل :
(١) للدرس .
(٢)للاستشفاء .
(٣) لتصفية أملاكه .

وقد عنى بالناحية الأولى أكثر من عنايته بصحته وأملاكه ، فاتصل بادباء الاسكندرية أولا ثم بأدباء مصر ، ثم وثق صلته بمجلة " الحديث " وأخذ يكتب فى الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية ، وما هى سنة أو بعض سنة حتى شع اسمه ، والتفت الناس يتساءلون عن هذا الباحث الذى يجرى فى بحوثه على طريقة تخالف المناهج التى اعتادوها وتصوروه عالما فى العقد السادس من عمره ، ولم يعلموا أن هذا الفيض العلمى والنتاج الأدبى هما من قلم شاب لم يتجاوز العقد الثالث من عمره ، وظلوا مدة لا يعرفون شيئا عن سيرته حتى كشفنا ذلك للقراء حين اصدرنا رسالته عن طه حسين كما كشف ذلك صديقه الدكتور أبو شادى فى مجلته " أدبى " التى ظهر منها أربعة أعداد ثم توقفت لأسباب لا مجال لسردها هنا .

مهمته الأدبية :

كان الدكتور أدهم وهو فى مصر يشتغل لحساب جامعة استانبول ، وقد ناطت به أن يوافيها بدراسات عن الحياة الأدبية والاجتماعية فى البلدان العربية ، فوضع ١٣ تقريرا مسهبا كل تقرير ١٠٠ صفحة من القطع الكبير ، وكان معتزما العودة الى تركيا عقب الفراغ من مهمته فى أواخر سنة ١٩٣٨ ولكن الأطباء منعوه من السفر حرصا على صحته وحتموا عليه ان يظل فى جو دافئ كمصر ويقى مكرها ، وقد كان انقطاعه عن عمله الجامعى من الاسباب التى حدت بكلية استانبول أن تقطع عنه مرتبه فكتب إلىّ يوما يقول ، بعد أن زرته في الإسكندية صيف عام ١٩٣٨ :

" .. وإنى لأعتذر للأخ الكريم عن تقصيرى فى حقه وعدم تمكنى من تكريمه ايام كان فى الاسكندرية لأن ظروفى لم تكن تساعدنى ، بل فى أشهر الصيف هذه عاكستنى الظروف فكانت كلها ضدى ، وانقطع عنى المرتب من تركيا لبعض الأسباب التى تتعلق بالعمل والميزانية ، ولم يتحسن الحال بعد اليوم ، ولعل عذرى ... وعسى ان تعاود الأخ الفرصة فى المستقبل فيزورنى فى الأستانة حيث أتمكن من أن أقوم نحوه ببعض واجبات التكريم ، ثم كتب إلىّ فى رسالة ثانية يقول :

" ... كتبت إلى أنقره منذ اسبوعين أرجو أن يمدوا فى مدة بقائى فى مصر بدعوى الاشتغال فى بحوث اللغة والتاريخ ، والواقع أنى أنهيت أعمالى ، ولكن صحتى لا تسمح لى بمغادرة البلاد المصرية فى الوقت الحاضر لبلاد مثل تركيا جوها - قارى [١] - مائل للبرودة فى الشتاء ، لهذا أرغب أن أقضى الشتاء القادم فى مصر عسى أن يكون فى بقائى الشفاء ..

---

(١) لقد استعملّ كلمة " قار " التركية أى - الثلج - وكانت الاصطلاحات والالفاظ التركية تغلب عليه فى بحوثه ومقالاته فنضظر الى تبديلها .

وانا لا أعرف ان كانت إدارة الجامعة ستوافق أم لا ، وإن كنت أرجح موافقتها لأن وجودى فى مصر لا يكلف الجامعة شيئا كثيرا ، فإذا بقيت فى مصر أظن أن صلتى مع " الحديث " ستبقى على ما هى عليه . أما إذا سافرت لتركيا فلست أعرف ماذا سيلقى على عاتقى وعلى موقفى هنالك يتوقف صلتى بالحديث ، ومع هذا فأنا يسرنى ، كما قلت فى خطاب سابق أن أجعل من " الحديث " ميدانا أجرى فيه قلمى للرسالة الإنسانية التى أرجو أن أوفق فيها لهذا الشرق " .

ولم توافق الجامعة ، وظل فى مصر بعد أن انقطع راتبه وعاش عيشة ضنكة لأن الصحافة العربية لم تدفع له الراتب الذى يتكافأ ومركزه العلمى وثقافته الأدبية الواسعة كما أن ريع بيته فى الإسكندرية كان محدودا ، وكان يؤمل ان يبيعه ويأخذ نصيبه من المال ليعود إلى تركيا ومنها الى أوروبا ليعيش عيشة العلماء المنقطعين للدرس حيث يجد بيئات تقدر ملكاته ومواهبه ولكن الحرب قد جاءت فحبطت كل أمانيه وأنهت حياته هذه النهاية المحزنة .

دراسته التاريخ الاسلامى :

لقد بينا أن تعلمه اللغة العربية ودراسته تاريخ العلم الرياضى واضطراره لدراسة المراجع العربية لإعطاء حكم صحيح عن أثر العرب والمدنية الإسلامية فى الرياضيات - كل هذه العوامل كانت من الأسباب التى دفعته للتوغل فى الشرقيات وفى دراسة التاريخ الاسلامى ويقول هو فى هذا الصدد :

" ... ولقد أكببت مدة من الزمن ليست باليسيرة على تاريخ الإسلام فدققت معظم المصادر العربية والتركية والفارسية مخطوطة ومطبوعة فى دور الكتب بمختلف أمصار أوربا وآسيا وأفريقيا وراجعت جل ما كتبه المستشرقون بالألمانية والروسية والإيطالية والإنكليزية والفرنسية وطابقت ما ذهبوا اليه على مصادرها الشرقية للتأكد من صحة ما ذهبوا اليه ، فما كان صحيحا قبلته وما كان ضعيفا نظرت فى أمره وما كان باطلا رددته ورفضته حتى تجمع لدى الشئ الكثير من المعلومات والملاحظات فيها مقدار ليست باليسير من الأفكار الشخصية [1].

وكان من نتيجة ذلك أن وضع كتابه " تاريخ الاسلام " - اسلام تاريخى - بالتركية .. وهو مجموعة المحاضرات التى ألقاها على طلابه فى جامعة استانبول .

إننى لم أطلع على هذا الكتاب . فقد وعدنى الفقيد أن يوافينى به عقب عودته إلى استانبول ثم كتب إلى زميله كوبريلى زاده محمد فؤاد بك مدرس الإلهيات فى جامعة استانبول أن يخصنى بنسخة منه ولتاريخه لم اظفر به ولم يقدّر لى أن أطالعه ولكن مَنْ اطلع على رسالتيه " علم الأنساب العربية " و " من مصادر التاريخ الإسلامى " - وهما بعض فصول هذا الكتاب يدرك النهج الذى نهجه فى كتابه " فالدكتور أدهم بحكم نشأته التركية ونزعاته الانقلابية وشكوكه الإلحادية لم يكن ليستطيع أن يدرس مواد التاريخ الإسلامى بالطريقة المتداولة الأن بين أكثر الباحثين . فقد نهج المستشرقين أولا ، واحرار الفكر ثانيا ، وعملت النزعات الشكوكية عملها فى أن يدرس التاريخ الاسلامى دراسة تختلف كل الاختلاف عن الدراسات التى جرى عليها

(١) من مصادر التاريخ الاسلامى ص ٤ .

المؤرخون المعاصرون والقدماء الذين عرضوا للتاريخ الإسلامى .

وقد كان يعتزم أن يصدر كتابا ضخما عن " حياة محمد ونشأة الاسلام " بالعربية وربما كان يعتزم ترجمة كتابه التركى مع كثير من التوسع ، ولكنه خشى معارضة الأزهر ، لأن الصدمة التى تلقاها اثناء إخراجه رسالته " من مصادر التاريخ الإسلامى " جعلته يتريث قليلا ولم يكن تريثه من هذه الناحية فقط بل من ناحية نشره فالكتاب فى ستة مجلدات ضخمة أى فى ٣٠٠٠ صفحة من القطع الكبير ، وقد خشى الناشر المصرى أن يقف الأزهر فى وجهه وأن يصادر الكتاب . لذلك قرر الدكتور أدهم نشره فى أوروبا . ولو نشرفى مصر لأحدث ضجة دونها الضجة التى احدثها كتاب " فى الشعر الجاهلى " للدكتور طه حسين أو كتاب " الاسلام وأصول الحكم " للأستاذ على عبد الرازق لأنه كتب بكثير من الحرية فدحض فكرات متداولة منذ القدم ، ونقد آراء ومستندات هى عند الكثيرين بحكم الوحى والتنزيل مما لا تستطيع ان تهضمه البيئات الإسلامية وبيئة مصر الأزهرية بصورة خاصة ، فقد عرض فى الجزء الأول إلى تاريخ العرب قبل الإسلام استنادا الى الاكتشافات الأثرية الأخيرة وتناول فى هذا البحث العرب "بالتحليل الاثنولوجى ودرس أصولهم فى قلب شبه الجزيرة ، كما بحث كلمة " عرب " وتناولها بالتحليل اللغوى مع فصل مسهب فى جغرافية جزيرة العرب وآخر فى العرب البائدة والعاربة والمستعربة وثمة فصول مستفيضة درس فيها أحوال العرب الدينية والاجتماعية والسياسية وقد دحض فكرة ذهاب ابراهيم الى الحجاز مع اسماعيل ونشأة العرب المستعربة من نسله . ثم تطرق إلى مصادر حياة الرسول وكشف عن اضطراب أصول الحديث وقواعد السيرة . وتناول القرآن ببحث ضاف فى جمعه وترتيبه وتدوينه ، ثم بحث بحثا طويلا عن علم الأنساب من وجهة عامة وبعدأن تكلم بإسهاب عن نسب الرسول عرَض إلى ميلاده وطفولته ونشأته حتى زواجه من السيدة خديجة .وهذا الجزء بمثابة مقدمة وتوطئة لفهم سيرة الرسول على الوجه التحليلى الأتم إدراك عوامل الدين الاسلامى فى فيافى الجزيرة .

وقد كتب المستشرق كازميرسكى بعد أن اطلع على بعض فصول كتابه هذا يقول :

" ان أبحاثه عن حياة الرسول من أدق الأبحاث وأطلاها وأكثرها ابتكارا وأعمقها فكرة وأدقها تحليلا ، ولا عجب فكتابه عن " حياة محمد " يعتبر محوراً جديداً يدفع العقل الانسانى إلى مناحى فى التاريخ الإسلامى جديدة " كماأن العلامة بارثولد W. Bourthold عضو أكاديمية لينغراد العلمية يقول :

" مباحثه فى حياة الرسول من خير ما كتب الباحثون وتتجلى لك قدرته الشخصية فى نقده المصادر التاريخية وإجلاء المسائل الغامضة فى بحوث تحليلية دقيقة .

ولا نعلم ماذا فعل الله بهذا الكتاب وهل أصبح فى حوزة شقيقه أم ضاع مع بقية آثاره وهل سيتاح له أن ينشر يوما ويتنسم أريج الحياة أم قدر له أن يطوى ويبتلعه الزمن كما ابتلع اليم صاحبه .

أولى رسائله العربية :

وكتوطئة لنشر كتابه " حياة محمد ونشأة الاسلام " نشر فى العام ١٩٣٦ أولى رسائله العربية وهى " من مصادر التاريخ الاسلامى " عرض فيها إلى ماهية الحدث والرواية ونشأتها وحلقات تطورهما من عصر الرسول إلى القرن الثالث الهجرى ، وقد أثبت فى هذه الرسالة بأدلة قاطعة أن أكثر الأحاديث والأسانيد منتحلة وانتهى إلى أن علم الحديث نشأ من روح المدنية التى حملها الاسلام الى المسلمين الجدد . فلم تكد تصدر هذه

الرسالة عن مطبعة " صلاح الدين الكبرى " بالإسكندرية مهداة " إلى أحرار الفكر الذين حرروا الفكر من قيوده وجاهدوا فى سبيل تحرير العقل الانسانى من تأثير الأساطير الدينية والمزاعم الوطنية " (١) حتى قام الأزهر وطلب إلى الحكومة مصادرتها ، فانعقد مجلس الوزراء وقرر مصادرتها وإحالة مؤلفها إلى النيابة للتحقيق معه ، وقد حققت معه بالفعل ، ثم شفعت له ، على ما يظهر جنسيته " التركية " وانتهى الأمر بمصادرة الرسالة وحفظ القضية ،وهذا الذى جعله ان يتريث بنشر كتابه الضخم " حياة محمد ونشأة الاسلام " وقد غاظ هذا العمل قادة الفكر فى مصر ولكن واحدا منهم لم يرفع صوته ، لأن صاحب الرسالة شاب مغمور ليست له شهرة كبار الكتاب ، على ان الاستاذ احمد أمين - وهو من رجالات الفكر المعتدلين - كتب كلمة حول هذه المصادر جاءت عرضا فى مناقشة له مع الدكتور طه حسين بصدد عيوب النقد الأدبى فى مصر ومما قاله :

" وهل أتاك نبأ ما كان منذ شهرين ، إذ نشر شاب فى الإسكندرية رسالة فى الحديث تعرض فيها للرواية والرواة ونقد بعض المحدثين ، وطعن فى بعض الأسانيد ، فاجتمع مجلس الوزراء وقرر مصادرة الرسالة مع أن المعتزلة منذ ألف سنة قد انكروا أكثر الأحاديث إلا ما أجمع الرواة على صحته ، ولم يكفرهم من أجل هذا أحد ، ولم يصادر كتبهم من أجل هذا أحد (٢) .

وهذا الذى جعله أن يطوى بحوثه الإســـلامية وأن يقصر مباحثه على الشئون الأدبية والاجتماعية والعلمية .

رسالاته وكتبه :

تنقسم مؤلفات الدكتور أدهم الى قسمين : القسم المكتوب باللغات الفرنجية والقسم المكتوب بالعربية . وما كتبه بالعربية ، فى خلال السنوات التى أمرها بمصر هو غيض من فيض ، وهو ما كتبه فى أوقات فراغه ، وفى ساعات الاستجمام والراحة ، وليست لدينا مجموعة كتبه التى كتبها فى مختلف اللغات لنرجع إليها فحسبنا الألماع اليها إلماعاً .

بالعربيـــة :

| | | |
|---|---|---|
| من مصادر التاريخ الإسلامى ١٩٣٦ | نشرت فى الاسكندرية | عام |
| الزهاوى الشاعر | عن مطبعة التعاون بالاسكندرية | عام ١٩٣٧ |
| لماذا أنا ملحد ؟ | عن مطبعة التعاون بالاسكندرية | عام ١٩٣٧ |
| طه حسين : دراسة وتحليل | من منشورات مجلة " الحديث " | عام ١٩٣٨ |
| عبد الحق حامد : دراسة وتحليل | ،، ،، ،، | عام ١٩٣٨ |
| علم الأنساب العربية | ،، ،، ،، | عام ١٩٣٨ |
| توفيق الحكيم | ،، ،، ،، | عام ١٩٣٩ |
| اسماعيل مظهر المفكر | نشر مسلسلا " الحديث " | عام ١٩٣٨ |
| أبو شادى الشاعر | ،، ،، ،، (أدبى) | عام ١٩٣٧ |

(١) مقدمة الرسالة . وقد ختم كلمة الاهداء بقوله : " إلى الذين أخذوا بيد الجماعات الإنسانية إلى الحياة الصحيحة أهدى هذا الكتيب لعلهم يجدون فيه نظرة حرة بعيدة عن تعصب الدين وجموده " .

(٢) الرســـالة .

| | | |
|---|---|---|
| نظرية النسبية الخصوصية | ،، ،، ،، " الرسالة " | عام ٣٥ - ١٩٣٦ |
| حرية الفكر | ،، ،، ،، " أدبى " | عام ١٩٣٧ |
| خليل مطران | ،، ،، ،، " المقتطف " | عام ٣٩ - ١٩٤٠ |
| الرسول محمد أصله ونسبه | لم يطبع | |
| سفر الفيل وميلاد الرسول | ،، ،، | |
| أربع سنوات فى الفردوس الأرضى - بروسيا | ،، ،، | |
| الميكانيكا الكلاسيكية فى ١٦ صفحة | ،، ،، | |
| مبادئ الطبيعيات النظرية الحديثة فى ٣٢٠ صفحة | ،، ،، | |
| رسائل من دراسات فى الأدب العربى المعاصر | ،، ،، | |

بالتركية :

تاريخ الاسلام - إسلام تاريخى - فى ٣ أجزاء ( ١٤ - ٤٨٠ - ٥٠٠ - ٦٢٨ )نشر معهد التاريخ فى الأستانة .
التوران فى مجرى التاريخ فى جزئين (١٨ - ٣٢٠ - -٣٨) معهد التاريخ بالاستانة .

بالألمانيـــة :

الرياضيات والطبيعيات فى جزء واحد ٦٤٠ صفحة ليبزيغ ١٩٣٤
نظرية النسبية وقيمتها فى جزء واح ٣٢٠ صفحة ليبزيغ ١٩٣٥
المفكرون المصريون فى ٧٠٠ صفحة لم يطبع

بالروســـية :

الرياضيات والطبيعيات فى جزئين ٨٧٠ - ٦٦٤ صفحة ليزيغ ١٩٣٥
نظرية النسبية فى مجلد ٦١٧ صفحة ليبزيغ ١٩٣٥ .

بالانجليزية :

أبو شادى الشاعر دار غوستاف فيشر للنشر بليبزيغ ١٩٣٧
مجرى الرومانطيقية فى الأدب العربى الحديث فى ٣ أجزاء - لم يطبع .

هذا ، عدا ما لم ينشره من الكتب والرسائل العلمية والتاريخية ، وعدا مقالاته وبحوثه التى نشرها فى مختلف المجلات الاستشراقية والمجلات التركية والغربية ، وهى تشكل مجلدا ضخما من أنفس الآثار الأدبية ، وقد كتب إلىّ قبيل انتحاره يقول إنه يعتزم ضم هذه المباحث فى كتاب وتقديمها للطبع ولا أعلم ماذا تم بها ولعل شقيقه الاستاذ ابراهيم أدهم - وهو أديب مرهف الحس جم الذكاء - لا يهمل البحث عن هذه الدراسات فينشرها فى كتاب يضمه الى مختلف أثاره الثمينة .

آثاره المضيعة :

كتب الىّ الدكتور أبو شادى يقول بصدد ضياع آثاره :

" ... وللأسف لم ينكب أصدقاؤه الأدباء بوفاته فقط بل بضياع آثاره المخطوطة ومكتبته الزاخرة كذلك . إذ أن جميعها ، كما أخبرت ، كان قد وزعه ما بين هدايا وأمانات لدى نفر من رجال الكتب من باعة وغيرهم ، فضلا عن بعض عارفيه ، وذلك لتعرض منزله فى دائرة جمرك الإسكندرية للقنابل الإيطالية . ولكن ضوضاء الحرب ساعدت على ضياعهم جميعا وانكر من ظنت لديهم أنها عندهم .

وكتب إلىّ شقيقه الاستاذ إبراهيم أدهم يقول : " أما كتب أخى المرحوم ومؤلفاته فهى الآن فى حكم المفقودة ، إذ كان نقل جميع حاجاته من المنزل قبل موته بنحو خمسة عشر يوما ، وإنى مجد فى البحث عن هذه الأشياء ، وقد كتبت منوها بذلك فى الرسالة كما نوه الدكتور عبد الغنى مصباح فى الأهرام ولعلى أعثر على هذه الأشياء قريبا وطبعا ساخص " الحديث " بما أجده من آثار " .

وبين هذه الآثار المضيعة دراسته التحليلية عن الأديب الكبير ميخائيل نعيمه ( * ) ودراسة طويلة عن ابن الهيثم الرياضى العربى الشهير تمهيدا لنشر مخطوطاته التى عثر عليها والتى كان سيختص " الحديث " بنشرها فهل يصون الوفاء هذه الآثار فتظهر فى يوم قريب أم قدر لقراء العربية أن يخسروا الاستمتاع بآخر ما خطته براعته الفاضلة .

المجلات والجرائد التى اختصها بمباحثه :

لقد كتب فى أكثر مجلات المستشرقين كمجلة Orient ومجلة المعهد الروسى للدراسات الشرقية - وكلاهما تصدران فى موسكو - وفى مجلة " التاريخ التركى " - تورك تاريخى مجموعة سى " . وفى مجلة " فكر حركتلرى " التى يصدرها حسين جاهد بك وهى من أرقى المجلات التركية وكانت أكثر مباحثه إسلامية تعرض الى صميم التاريخ الإسلامى ، أما فى العربية فقد اختص " الحديث " والمجلة الجديدة و " المقتطف " و " الرسالة " و" أدبى " و " الإمام " وجريدة " البصير " و " والأهرام " بنشر آرائه ورسائله ، كما كان ينشر فى مجلة العصبة البرازيلية ومجلة " الطليعة الدمشقية " و " المكشوف " البيروتية . وتمتاز كتاباته بالدقة والتوسع والغوص الى صميم الموضوع مع دعم ذلك بمئات المستندات والنصوص مما يقف القارئ حائرا من وصوله الى هذه النتائج . وقد أشار الى هذه الناحية الشاعر الاستاذ محمد عبد الغنى حسن بقوله :

" .. وكانت للفقيد فى نقده ميزات ، أهمها غرامه بالاحصاء الدقيق والتثبيت الأكبر ، فهو لا يقدم للقضية الأدبية من غير أن يكون بين يديه ألف احصاء من ارقام وصفحات وعدد أبيات واستشهاد ، وغير ذلك مما تستكمل به عدة البحث الدقيق . ولقد كنت أعجب وأنا أقرأ اصول مقالاته مع الصديق الاستاذ فؤاد صروف محرر " المقتطف " أو مع الأخ الشاعر الاستاذ حسن كامل الصيرفى- كنت اعجب ويشاركنى الصديقان فى هذا العجب ، من صبر الفقيد الطويل على عد الأبيات وعد الصفحات وعد الأمثال وعد الكلمات ، اذا احتاج البحث إلى الإدلاء بالأعداد والاستشهاد بالارقام [1] .

---

* نشرت فى كتاب ، " شعراء معاصرون " ، وهى آخر ما نشر من دراساته . دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ .

(١) جريدة الأهرام ، ١٩٤٠/٧/٢٩ .

أسلوبه العربى :

يعترف الدكتور أدهم أنه دخيل على العربية وأنه أجنبى عنها حكمه فيها حكم المستشرقين فقد درس العربية وهو صغير ، وراجع كتبها القديمة وهو تلميذ فى الجامعة ، ولم يدخل رحاب الأدب العربى الا منذ خمس سنوات حيث حاول الكتابة فى المواضيع العلمية والأدبية والتاريخية فنجح بعض النجاح وما زال حتى اصبح يكتب بكتابة علمية متزنة . فقد كانت عقليته العلمية من جهة ، وحذقه عدة لغات من جهة ثانية ، ثم ذكاؤه العجيب وغوصه على صميم التاريخ الإسلامى والكتب العربية القديمة من العوامل التى ساعدته على الكتابة بسهولة ، ولقد كان يخضع فى كتابته العربية الى الاصطلاحات والتعابير المستعملة فى اللغة التركية وكثيرا ما كان ينقل الأفكار التى تجول فى خاطره من التركية إلى العربية أى كان يفكر تفكير كتاب الاتراك . ومَنْ يقرأ رسائله الأولى ، سيما رسالته عن الزهاوى الشاعر " يحس الطابع التركى قد تغلغل فى اسلوبه العربى - طابع الكلمات العربية المستعملة بغير مدلولها أو بشئ من التطور - باللغة التركية . على أنه فى رسائله الاخرى ، قد ابتعد عن هذا الاسلوب بسبب اندماجه بالبيئة الأدبية العربية ، ولو عاش مدة غير طويلة يكتب بالعربية لارتقى أسلوبه الى أسمى الأساليب العلمية .

وبالاجمال ، فقد كان يشوب أسلوبه التعقيد والتشعب على رأى الدكتور أبو شادى ولا تجد فيه تلك الطراوة البيانية التى تأخذ بالنفس على حد تعبير صديقه الاستاذ يعقوب بكر [1] ويرجع هذا ، كما قلنا إلى معرفته عدة لغات وإلى وفرة محصوله العلمى فى كافة ميادين العلم وعدم توفر وقته لمراجعة ما يكتب وصقل عباراته ونحتها كما يفعل بعض الكتاب " المنفلوطيين " ولو عمل عملهم ، رغم أعجميته لبلغ درجتهم وربما يزهم فإن من كان فى ذكائه لا يصعب عليه أن يبلغ القمم العليا من البيان العربى .

تهمة اتصاله بالمبشرين :

كان الدكتور أدهم وثيق الاتصال بكبار المستشرقين ، وقد أطلعنى على عدة رسائل منهم واذا هى كلها إطناب ومديح بمواهبه ، وكان لا يتردد البعض أن يسأله بعض الأسئلة فى شئون تمس صميم الشرق ، وقد توثق هذا الاتصال منذ كان فى روسيا وبعد أن سمى وكيلاً للمعهد الروسى للدراسات الاسلامية ، وهناك عمل مع كراتشفوسكى وكازميرسكيى وغيرهم وغيرهم ، كما كانت صلاته وثيقة مع بروكلمن والبرنس كايتانى - الابن - على أنه لم يكد ينتقل إلى مصر حتى فسرت هذه العلاقات تفسيرا معكوسا فاتهمه البعض - وهذه من أسخف التهم - بانحيازه إلى المبشرين وهى شبيهة بالتهمة التى ألصقت بمجلة " الحديث " فى سنيها الأولى فقد ذكروا أن صاحب الحديث يتلقى كل شهر من الدكتور طه حسين خمسين جنيها لنشر آرائه الإلحادية ، وهو

---

(١) يعقوب بكر فى " الحديث " سنة ١٩٣٩ ص ٦٦٢ وقد وصف أسلوبه بقوله : انه أسلوب علمى بحث لا تجد فيه تلك الطراوه والبيانية التى تأخذ بالنفس ومبناه ليس عربيا خالصا بل ملقح بتراكيب أعجمية بحتة ، وهو مركز كل التركيز ومن هنا جاء عمق معانيه وجاء صعوبة عبارته .

بدوره يتلقى هذا المال الضخم من جمعيات البروتستانت : وأذكر أنى لما أفضيت بهذا الكلام إلى الدكتور طه حسين ضحك كثيراً من هذا التناقض بل من سخافة هذه العقول التى تقبل مثل هذه التهم الباطلة .

وكل ما عرف عن الدكتور أدهم أنه حر الفكر ، وكانت نفسه أسمى من ان تهبط إلى هذا الصغار سيما وقد كان لا يتورع أن يجاهر برأيه دون أن يعبأ بسلطان أحد لأنه عاش فى بيئات علمية تقدس حرية الفكر وإلى هذا أشار أحد أصدقائه بقوله :

" .. من الخطأ أن يقال إن أحداً استخدم أدهم فيماأساء اليه ، فقد كان الفقيد العزيز صلباً فى رأيه ، شديد الحرص على استقلاله إلى درجة المغالاة وهذه كانت ملاحظتى عليه دائماً حتى مع خاصة أصدقائه ، وقد أشيع أن بعض أثرياء المبشرين كانوا يستعينون به . وهذه الإشاعة وأمثالها أراجيف باطلة من كائدية وحاسدية ، فالحقيقة أن الفقيد - تغمده الله برحمته - كان ضد جميع الأديان على السواء ، وقد عرف عنه الزهد والتقشف واحتقاره للمال وللشهرة احتقاراً تاماً ، وكان الفقيد يغار على فكره بل على كل كلمة يكتبها كأنها قطعة من نفسه والحق يقال أنه مات شهيداً لمبادئه [1] .

## المآع إلى نزعاتـــه :

افضى إلى الدكتور أدهم يوما بالحديث التالى :قال : لقد اشترك والدى مع مصطفى كمال فى حرب الاستقلال المقدسة ، تلك الحرب التى أثارها الغازى لتحرير الوطن التركى من احتلال الأجانب ، وقد ابلى فى هذه الحرب بلاءً حسناً . وبعد أن تحققت الأمانى وانتهى الجهاد الحربى والكفاح السياسى بخلق تركيا الجديدة بدأ الغازى كما تعلم ، ثورته الفكرية فألغى الخلافة وطرد السلاطين مما كان له أسوأ الأثر فى نفس والدى الذى لم ينضم الى ثورة الغازى التحريرية إلا تحت تأثير الوازع الدينى أولا والوازع الوطنى ثانيا .. وكأنه شعر أن مهمته قد انتهت فرجع بنا فى أواخر عام ١٩٢٣ إلى مصر ، وهنا فى الإسكندرية ، كان والدى يستقبل المطرودين من حظيرة مصطفى كمال ، فتح لهم بيتنا على مصراعيه وانفق عليهم بسخاء ، فكانوا يأكلون ويشربون ويصدرون الأحكام القاسية على الذين زلزلوا الخلافة وخالفوا أحكام الشريعة السمحاء وكنت أنا الصغير الذى لم يتجاوز عمره الرابعة عشر - استمع إلى هذه الا حكام بمضض وقد أذهلني أن تنتهى هذه الأحاديث الى تدبير مؤامرة لاغتيال الغازى ، وبالفعل فقد سعى أحد الأكراد للقيام بهذه المهمة النكراء وأعطيت له خمسمائة جنيه مصريا دفعها والدى من جيبه . وقد بقى الامر سرا إلا عن بعض الأخصاء . فعزّ علىّ أنا الذى تفتحت عيناى على لميع الانقلاب فى وهاد أنقرة أن يذهب منقذ الوطن التركى ضحية هذه الفئة الرجعية وسرعان ما كتبت الى شقيقتى فى الأستانة واطلعتها على خفايا هذه المؤامرة فاتصلت بدورها مع من يلزم وكشفتهم على ما دُبّر فى منزلنا وخشية من أن ينكشف أمرى طلبت شقيقتى إلى أبى أن يرسلنى الى استانبول لاتمّ دراستى فى " الكوليج " - الكلية الامريكية - فوافق وأرسلنى الى هناك حيث أدخلت فى ثانوية أنقرة على نفقة الحكومة .

قص على الدكتور أدهم هذه القصة ليؤكد نزعاته الثورية من صغره وإيمانه العميق بالانقلاب الاجتماعى الذى رسم خططه اتاتورك .

---

(١) جريدة البصير عدد ١٦ اغسطس سنة ١٩٤٠ البحيرى عبد الرحيم .

وقد عرفنا أن أدهم أتم دراسته الثانوية فى أنقرة والعالية فى ليننغراد أى حين كانت الثورة الكمالية فى احتدام فورانها والروسية فى بدء تكاملها فعبّ من رحيقهما ما جعله فى طليعة المؤمنين برسالتيهما .. ومن هنا جاءت آراؤه المتطرفة فى الكثير من القضايا الاجتماعية والدينية .

أخذ فى تركيا عن قابيل آدم وضيا كوك آلب وغيرهم وغيرهم من أكابر كتاب الاتراك الإنقلابيين الذين بذور الثورة التركية - الكثير من آرائهم ، وكتب عدة رسائل فى مجلة ( فكر حركتارى ) التى يصدرها فى أستانبول حسين جاهد - أوضح فيها صميم الانقلاب التركى على ضوء النظريات الاجتماعية والنزعات القومية - كتب هذه الرسائل بعد عودته من الروسيا وبعد أن عاش فى الوسط الجامعى الذى يغطى للفكر الحر قداسته سيما فى أدق القضايا التى لا يباح بحثها فى اوساطنا الفكرية ، وكان من البداهة بمكان أن تتلقح اراؤه بالنزعات الاجتماعية وان يميل إلى الاشتراكية ميله الى التشكيك فى قدسية العقائد وروح الديانات ورسالته " لماذا أنا ملحد ؟ " هى نتاج محصوله العلمى فى البيئات الروسية وأن ردّ هذا الى بيئته الأولى حيث كان يتأرجح بين الطقوس البروتستانتية والتعاليم الاسلامية . ولا أزال اذكر ليلة سمرنا فيها عند المرحوم فليكس فارس فى منزله بالاسكندرية دار فيها جدال عنيف حول روحانية الشرق ومادية الغرب ثم حول الإيمان والإلحاد ، والإلحاد والعدمية والفروق بين المذهبين اشترك فى الجدل الدكتور محمود عزمى والدكتور حسين فوزى وكاتب هذه السطور ولست هنا فى معرض تلخيص تلك المناقشات التى كشفت عن نزعات أدهم الإلحادية مما جعلت الدكتور عزمى مثلا - الذى يدين بحرية الفكر كعقيدة له دون بقية العقائد - أن يخالفه فى الكثير من آرائه واتجاهاته . نعم لست هنا فى معرض تلخيص تلك المناقشات التى دامت ثلاث ساعات كاملة بل أريد أن اقول إن هذه الآراء التى انحدرت الى نفس أدهم كانت وليدة الثورتين : وليدة دراسته العالية فى الروسيا أولا ثم اندماجه فى صميم الثورة التركية ثانيا . ومن هنا جاءت آراؤه المتطرفة التى ألبت عليه الأزهر وجرته إلى المحاكمة مما حداه أن يترك هذه المباحث التى يضيق بها جو مصر الى الآفاق الأدبية حيث كتب فيها امتع الدراسات واثمن الرسالات .

## انتحـــــاره :

لماذا انتحر الدكتور أدهم ؟

لقد عرض الكتاب إلى هذه الناحية وذهبوا فى تفسيرها مذاهب شتى فمنهم من ردّ ذلك الى القلق النفسى ، ومنهم من رده الى شكوكه وإلحاده ومنهم من رده الى مرضه كما رده البعض إلى ضيق ذات يده وآخرون إلى تضييق السلطة الانكليزية عليه بسبب اتصاله بمحطة باري الإيطالية ، ونحن نعرض فيما يلى نتيجة تحقيقاتنا فى الموضوع بقدر ما سمحت به الظروف .

كان الفقيد إلى قبيل انتحاره بيوم جمّ النشاط ، لا يبدو عليه أى اضطراب أو يأس أو قلق نفسى وكان يمر بأصدقائه كعادته ، وصحبه شقيقه ذلك اليوم إلى منزل الدكتور فريد كساب وكان لا يقلقه إلا أمر سفره ومغادرته أرض مصر ..

كتب إلى الاستاذ شيبوب رسالة يقول فيها :

" .. وجاءنى فى صباح يوم الثلاثاء ٢٣ يوليو وجلسنا نتحدث فى أشياء مختلفة ، ولم يكن يظهر عليه قلق أو اضطراب ولم يشك من شئ ما وقد كلفنى فى هذه المقابلة الأخيرة أن ابحث عن ملف قضية له بصفته وارثا عن والده قد تعود عليه بقيمة عشرين جنيها . وتواعدنا على أن نلتقى فى يوم الخميس التالى أى بعد يومين ليعرف نتيجة بحثى ، وفى مساء اليوم التالى أى الأربعاء التقيت فى الترام بالدكتور أبى شادى فأخبرنى بوفاته منتحرا ، وقد صدمنى النبأ حتى أنى لم أنم ليلتى تلك ، وكان يخال لى فى يوم الخميس بين الفينة والفينة انه يدخل مكتبى على عادته ..

وكتب إلى شقيقه الاستاذ ابراهيم أدهم يقول :

" ... انى قابلت أخى المرحوم فى ويوم وفاته " الثلاثاء ١٩٤٠/٧/٢٣ فى شارع سعد زغلول فى الإسكندرية بالقرب من محطة الرمل ورحنا معا الى عيادة الدكتور كساب ولكنا لم نجده فاستأذن منئ على موعد فى اليوم التالى " الأربعاء" الساعة الثالثة ، ولكن كان هذا اللقاء هو الأخير " .

ويبدو لنا من هاتين الرسالتين أن الدكتور أدهم لم يكن مضطربا ولم يكن فى حالة تدعو إلى اليأس . وكان لا يشغله إلا أمر مغادرته مصر فهل كان يخفى وراء هذا الهدوء اضطرابا نفسيا عميقا ؟

هناك رأى يقول به غير واحد من أدباء مصر أن اتصال الفقيد بمحطة اذاعة " بارى " الإيطالية جعل السلطة الانجليزية فى مصر ترتاب منه وتراقبه مراقبة شديدة مع أنه كان بعيداً جداً عن النزوات السياسية ولم يعرف عنه غير الاشتغال بالشئون العلمية والأدبية وكانت محاضراته فى محطة الاذاعة الايطالية لا تتعدى الشئون الأدبية البحتة ولكن السلطات العسكرية لا تعرف هذه الفروق سيما فى ظروف الحرب ولما رأى نفسه تحت المراقبة الشديدة فكر بالعودة الى تركيا ، وبالفعل فإنه سعى للتأشير على جواز سفره من قنصليتى فرنسا وانجلترا ليجتاز فلسطين وسورية ولكنه أخفق وظل تحت المراقبة إلى ان علم أن أمر القبض عليه قد صدر من السلطات العليا .

هذا من جهة

أما أسباب الوفاة - الانتحار - فلا أعلم على وجه التحقيق ، وهناك رأى تذيعه محطة راديو بارى فهل لم تسمعوها ؟ على أنى علمت أخيرا أن الحكومة المصرية كانت على وشك أن تقبض عليه ؟ وقد علمت من مصدر أن قرار القبض عليه كان صدر فى الليلة نفسها وعلى هذا يكون قد سمع بالخبر فآثر الانتحار على القبض عليه .

* * *

على أنه من المسلم به انه كان يعمل على مغادرة مصر الي الخارج ، ولكنه لقى صعوبات جمة وعقبات كثيرة . وكم كنت أود أن اتكلم أكثر من هذا ولكنك أعلم منى بما يجرى فى هذه الأيام وإذا تركنا الآن ذلك فإلى فرصة اخرى قريبة حيث احدثك أكثر من هذا .

كان لقائى له فى يوم الثلاثاء الساعة السابعة تقريبا - مساء - ولعله بعد أن تركته سمع بالقرار الذى اشرت إليه ولم يكن يبدو عليه لوائح الاضطراب أو شئ من هذا بل قد شحب وجهه قليلا من جراء التفكير الطويل في شأن سفره .

- من رسالة صديق -

فاذا أضفنا إلى ذلك مرضه الوبيل وضيق ذات يده قدرّنا العوامل التى دفعته إلى الانتحار .

وهذا ما اشار إليه صديق رد هذه العوامل إلى ما يأتى :

(١) اشتداد وطأة مرضه عليه .

(٢) عزة نفسه التى أبت عليه السؤال فى وقت ضاعت موارد رزقه بسبب ظروف الحرب .

(٣)-مطالبة البوليس اياه بمغادرة مصر بسبب آرائه المتطرفة التى لا تجيزها الأحوال الحاضرة .

والعامل الأول ، فى اعتقادنا ، من أقوى العوامل التى جعلته يؤثر التخلص من الحياة فقد كان الفقيد مصابا بتدرن فى الغشاء البلوارى . ومرّت أيامه كلها بين جهد الدرس والم المرض ، وكان يعتكف دائما فى بيته بين كتبه واوراقه أو فى المستشفى بين يدى أطبائه فإذا خرج فإلى دار الكتب للمطالعة أو للتريض قليلا على شاطئ البحر لرؤية صديق من أصدقائه الأدباء وفيما سوى ذلك فهو ملتزم الوحدة .

وكثيرا ما كان يدخل المستشفى ويبقى فيه الشهر أو الشهرين ، وماجاءتنى رسالة منه إلا تحدث فيها عن مرضه والآلام التى تنتابه وعتبه على خلّص أصدقائه الذين يهملون زيارته .

" .. لا زلت نزيل الفراش فى المصيف لا اغادر المنزل ، وأعيش تحت رقابة ثلاثة أطباء لأننى فى حالة تنذر بخطر التهاب رئوى .

" .. إن مرضى يمنعنى من كثرة العمل "

نعم لم تخل رسالة من الإشارة إلى مرضه ولن أنسى يوما كلمة الدكتور أبو شادى وكنا ثلاثتنا نسير فى طريق الكورنيش فى صيف عام ١٩٣٨ فقد انتحى بى وقال انظر الى صديقنا أدهم : إنه اليوم فى نشاطه ولا يبعد أن نفاجئ غد بموته ، لأن مرضه وبيل لا يرحم ، وحياته قصيرة ، أننا سنفقده حتماً وهكذا كان .

أيها الصديق الراحل

لقد كنا نخاف عليك قسوة القدر ولكن لم نكن ننتظر أن تقسو أنت على نفسك وأن تفجع أصدقائك بهذا المصير المحزن .

سامى الكيالى

## الرياضيات وأثرها في حياة أدهم الفكرية والعلمية *

الدكتور اسماعيل أدهم من العلماء الرياضيين المعدودين الذين تمخض عنهم القرن العشرين له فى ذلك نظريات وبحوث سجلتها الدوائر العلمية العالمية . ولا نريد هنا أن نجعل بحثنا شيئا لما قدم من بحوث فذلك شئ يرجع اليه فى مظانه حيث تاريخ العلم الزاخر بما اضاف اليه ادهم من مجهود قيم يحفل به العلماء قبل الأدباء ، ولكن لمؤرخى أدبه أو محللى شخصيته أن يحفلوا بذلك العلم اذا كانت له صبغة ظاهرة على أدبه أو توجيها خاصا لحياته أو تأثيرا كبيرا فى تفكيره .

ولعل أول ما يروع الدارس لشخصية أدهم تلك العقلية الرياضية التى تدور فى سرعة منطقية عجيبة قد تغمض أحيانا لشدة الحركة ولكن لا يلتوى بها التفكير أو ينقطع بها الخيال حتى تقف عند نتيجة محققة متشبثا بها فى غير تعنت اذ يقدمها اليك بعد مقدمات عديدة اكثرها يرجع الى التحليل العلمى فى دقة رياضية وسبك ينزع الى ( الموضوعية ) وهو فى ذلك على وتيرة واحدة حتى فى أبحاثه الفنية اذ يرجع كل شئ الى أصوله العلمية ثم يوزع تلك الدقائق العلمية على حساب رياضى كل على قسيمه فى النتيجة التى يسلكها فى تسلسل عجيب وهو فى ذلك لا ينقطع به التفكير [1] لأن له عقلية رياضية جبارة وان ملّ معه القارئ فذلك لأن له عقلية ذاتية لا يمكنها ان تجارى تلك العجلة الجبّارة فى دورتها اكثر من دورة تصاب بعدها بالدوار نتيجة الكد الذهنى والجرى الطويل مع المقدمات العديدة وراء النتائج البعيدة .

وذلك فى أسلوب علمى خاص يسير فيه على هدى من التفكير الرياضى المنظم يسلك به طرائق من البحث الموضوعى المرتب غير مبال بصوغ العبارة أو طلى الاسلوب . فاذا أضفنا الى تلك المسحة العلمية الجافة التى تتمشى فى بحوث أدهم كثرة تفصيله ووفرة مراجعه ودقة تقسيمه عرفنا لماذا يصدف عنه الكثيرون من القراء ممن لم يألفوا الاسلوب العلمى ولم يعرفوا النهج الاستشراقى ولم يتعودوا التفكير الرياضى [2] فإذا تخطينا تملك الرياضيات لتفكير ادهم وتسلط العلم على أبحاثه حتى فيمايتصل بالفن وجدنا تكييف الرياضيات لتصرفات أدهم فى حياته العلمية وتأثيرهافى اتجاهاته الفكرية حتى فيما يتصل بشئون الحياة .

أما تأثيرها فى حياته العملية فقد عرفت ذلك فيه عن كثب حيث اتيح لى بما لى فى أسرته من مكانة وما لى على الفقيد من دالة – أن أرقب سير حياته التى كانت تسير وفق نظام مرسوم لذلك لم يكن له فى حياته فراغ غير محدود وكان يخلو لدراساته وفق برنامج مقرر . فكان ( كالساعة ) لا تخلّ الزمن ولا تملّ العمل فمثلا : فى كم ساعة ودقيقة يفرغ من قرآءة ذلك الكتاب وتسجيل ملاحظاته عليه ثم كتابة نقد له وكم مرجع يحتاج اليه . وفى أى لحظة ينتهى من حديثه مع فلان الذى لا يقتنع الابعد سرد نظريته وتشريحها وكم يحتاج سردها من الجهد وكم يحتاج هو من الوقت ؟ واخيرا كم نتيجة ينتهى به اليها ثم أين أوجه الطعن فى تلك النتيجة وكيف توزع عليها الردود وكيف ينتهى منها فى الميعاد المقرر وهكذا كانت تسير الساعة حتى مع اخص المسائل العائلية واتفه المسائل العادية ، اذ كان يضع المنهاج لحياته كما كان يضعه لدراساته فكان يتمشى فيها سلوك رياضى عجيب وابهام علمى مكتسب من شخصيته لذلك يصدف عنه من لا يفهمه من المجتمع الجاهل كما يصدف عن قراءته : ( من لم يألفوا الاسلوب العلمى ولم يتعرفوا النهج الاستشراقى

---

* الحديث : حلب ، تشرين الأول ، اكتوبر ١٩٤٠ .

(١) راجع لنا ( نظرات فى دراسة الدكتور أدهم عن الدكتور طه حسين ) بمجلة الامام بالاسكندرية ،العدد ١٨ لسنة ١٩٣٩ .

(٢) راجع عبدالحفيظ نصار بمجلة الرسالة العدد ٣٧٠ وصديق شيبوب بجريدة البصير العدد ١٣٠٤٨ .

ولم يتعودوا التفكير الرياضـــى ) وهو فى ذلك مؤمن بضرورة الرياضيات لتكييف الحياة بشتى نواحيها .

وله فى ذلك دراسة مستفيضة بعنوان ( أثر الرياضيات فى الحياة البشرية ) [١] ولا يتسع المجال لعرضها جميعها وإنما يهمنا أن ننبه الى أنه عدّى اثر الرياضيات إلى ما هو أبعد من مظاهر الحياة إذ تتناول عنده الآثار الفنية الخالصة كالموسيقى وعاب على موسيقانا الشرقية لأنه لا يرجع فيها الى أصول رياضية كما عاب على المنطق الذى يدرس فى مدارسنا لأنه لا يرجع فيه الى قواعد رياضية كما حاول أن يفسر بعض الآيات القرآنية تفسيرا رياضيا فالرياضيات عنده يجب ان تتغلغل فى اصول الدين فكما للرياضيات عنده من صلة كبيرة بالطبيعيات فوضع كتابه (العلم الرياضى والطبيعيات) كذلك للدين عنده صلة بالرياضيات فوضع رسالته ( لماذا أنا ملحد ؟ ) وفيها بسط قانون الصدفة ، وقانون الصدفة قانون رياضى عام ينتظم فيه الكون ويرجع اليه اسباب وجوده وقد دلل على ذلك بأدلة رياضية دقيقة . ويأبى الله الا يختم حياته الرياضـية الحافلة بسبب رياضى – على ما أرجح انتحاره – اذ كان رجلا لا يؤمن بغير نعيم الحياة وشقائها فعمل حسابا رياضيا وازن فيه بين شقاء الحياة وسعادتها عملا بفلسفة بنتام القائل ( مجموع أكبر اللذات مستبعدا منها مجموع اكبر الالام فى اكبر ما يمكن من الزمن ) ولما كان رياضى الفكر ، فقد وجد النتيجة عنده مجموع أكبر الآلام ، لذلك عمل على اكتساب اكبر مجموع للذات فى اكبر ما يمكن من الزمن . واكبر ما يمكن من الزمن هو اليوم الذى توفى فيه لأنه كان مهددا بالنفى أو القبض عليه فى اليوم الذى يليه . لذلك كان أكثر يوم رؤى فيه مرحا كيسا فرحا اليوم الذى انتحر فيه كما شهد الذين رأوه فى ذلك اليوم ويفسر لنا ذلك عدم وجود مقدمات لوفاته تظهر فى تصرفاته – رحة الله عليه [٢] .

مصر – دمنهور — عبد الحفيظ نصار

---

(١) القيت كمحاضرة بجمعية الشبان المسيحية بالاسكندرية ثم نشرت فى " الحديث " باعداد ابريل ومايو ويونيو ١٩٤٠ .

(٢) اكد لى الكثيرون من أصدقائه أنه كانت لا توجد مقدمات لوفاته فمثلا كان له مع الأستاذ صديق شيبوب موعدا لعمل هام بعد وفاته بيوم كما كان له مع الدكتور فريد كساب موعدا فى نفس اليوم الذى مات فيه اتفق عليه فى صباح اليوم نفسه كما كان له موعداآخر مع اخيه الأستاذ ابراهيم ولكن اخاه ذهيب لمقابلته فوجد الخبر المحزن كما أكد لى أن حالته المالية لم تتغير وبعد أن حرت واخوه فى معرفة السبب اتفقنا على انها لحظة جنون وليس معنى هذا أن تكون لحظة جنون عادية بل لحظة جنون رياضى خرج منها بالنتيجة التى ذكرناها ولما كان تفكيره كما قلنا كالعجلة الجبارة فى دورتها فقد أعقب النتيجة التنفيذ . أما حكاية القبض عليه فهذه رواية جديدة لمطلع . ونحن وان لم نتأكد من صحتها فلا اقل من انه احتمال جديد له وجاهته لكنه لا يتعارض مع رأينا بل يسايره .

## مع اخى فى فترات حياته *

بقلم
شقيق الفقيد

أحب قبل البدء فى كتابة هذا المقال القصير ، والسير فيه إلى النهاية ، أن أقول كلمة إنصاف وحق ، وهى أنى مدين بعنوان هذا المقال للأستاذ الجليل سامى الكيالى ، محرر هذه المجلة الأدبية الرفيعة .

فقد اراد الاستاذ أن تكون لى كلمة فى هذا العدد الخاص الذى أصدره عن أخى المرحوم اسماعيل ، وفاءً له وتخليداً لذكراه ، وتفضل الاستاذ فحدد لى الموضوع الذى أكتب فيه ، أو اقترح علىّ إن شئت التحديد والتدقيق . فأراد أن يكون حديثى عن طفولتنا ونشأتنا وغير ذلك من الانطباعات الشخصية ، ورأى أن يكون عنوان مقالى ، العنوان الذى ذكرته فى صدر هذا المقال .

كم مرة ألح فيها علىّ بعض الاصدقاء بكتابة شئ عن أخى ، فنزلت على رغبتهم وامسكت القلم عدة مرات ، وفى كل مرة أجد ما أعددته فى ذهنى للكتابة قدتبخر كالاثير اذا تعرض للهواء . وكلما جلست للكتابة عن أخى أجدنى فى حالة نفسية غريبة ، فتخيم على كآبة ، لا أدرى كنهها أو لا أستطيع تحليلها ، ولا قبل لى بسبر غورها ، هذه الحالة تقعد بى عن الكتابة وتشل يدى عن امساك القلم، ويطوف بى طائف من الهم والحزن ، ويغمرنى سيل من الألم فتشتت المعانى فى ذهنى .

وظللت على هذه الحال منذ وفاة أخى حتى اليوم ، حين وصلتنى رسالة الاستاذ سامى الكيالى يطلب منى كتابة هذا المقال ، لهذا العدد الخاص ، فدفعتنى رسالته الى الكتابة دفعا شديدا ذلك لأن للأستاذ فى نفسى مكانة كبيرة وله ايضا حب وتقدير .

إذاً سألبى الطلب ، ولكن مطلب الاستاذ عسير وصعب ، إذ سأضطر إلى الكتابة عن نفسى بعض الشئ ، والتحدث عن النفس من أصعب الموضوعات على الكاتب لأن النفس على حد قول الاستاذ احمد أمين كالعين ترى غيرها ولا ترى نفسها .

وهناك عقبة تقف فى طريقى ، وتعترض سبيلى هى مرض عينى اليمنى الذى ألجأ الطبيب المعالج إلى أجراء عملية جراحية ، وعصب عينى باللفائف البيض ، فاصبحت الدنيا فى عينى قتاما ظلاما ، وأحالت تلك اللفائف النهار ليلاً دامساً .

ماذا افعل ؟ .. ليس أمامى إلا أن ألبى طلب الأستاذ ، فان أصبت ترفيقا فهو من عند الله وإن خاننى التوفيق وتخلى عنى فليس مرجعه إلىّ ، بل الى هذه العقبات التى بينتها ، والى الحادث الأليم الذى هزّ نفسى هزاً عنيفاً ، وزلزل الارض من تحت قدمى ، وجعلنى حائراً مذهوب الرشاد ، وما عاد الذهن الواهن يسعفنى بالمعانى التى أود أن أضمنها مقالى ، والكلمات تقف دون قلمى .

---

* الحديث : حلب تشرين الأول ، اكتوبر ١٩٤٠ .

اذا كان أخى مشغول الفكر ببحث من المباحث العلمية أو دراسة من الدراسات الأدبية يضطر لملازمة البيت ، فيعتكف فى المنزل أياما لا يبرحه - وقد تطول هذه الأيام وقد تقصر حسب الجو الملائم - وكان فى الفترة التى يمكثها يواصل الليل بالنهار والصباح بالمساء لا يسأل طعاماً ولايفكر فى شراب ، ويكون فكره كله متجها الى الناحية التى يشتغل فيها . وكان لا يمل من هذا العمل المتواصل ولا تفتر عزيمته القوية .

وكان كثير الاستفادة مما حوله وما يقع تحت عينيه ، فاذا قرأ صحيفة أو كتاباً استفاد منه قدراً كبيراً ، قد لا يستفيده غيره ، وهذا هو السر فى تحسن اسلوبه فى الايام الأخيرة وميلها الى العربية ، بعد أن كانت أعجمية بعض الشئ ، وفيها لكنة الإفرنج . واتجه نحو الكتب الأزهرية - التى أدرسها - وكان يقرأ فيها فصولا ثم يناقشنى مناقشة العالم الخبير ، فقرأ كتبا فى البلاغة والنحو والصرف وعلمى العروض والقوافى والتوحيد والفقه الاسلامى ، هذا إلى أنه كان كثير الاطلاع على كتب التفاسير ومصنفات احاديث رسول الله (ص) ولا أكون مغاليا إذا قلت انه كان خبيرا بالحديث لأنه من مادة بحثه .

ولقد كتب بعض الكاتبين يشير الى أن الصحف التى كان يكتب لها أخى كانوا يعمدون الى تصحيح أخطائه اللغوية ، وأزيد على هذا بانى كنت أراجع له كثيرا من مقالاته وكتبه واصححها من الناحية اللغوية ، ولقد اشار أخى لذلك فى كتابه" خليل مطران " فى المقدمة ، وفى الكتاب فى ( المبحث العاشر ) وكم مرة اراد أن يشير إلى فكنت آبى ذلك ، ولقد تناقشت كثيرا فى صدد اشارته لى فى كتابه شاعر الأقطار العربية خليل بك مطران .

وكان أخى اذا أراد أن يكتب فصلا أو مقالا لايجلس ويكتبه ، بل يدير الفكرة فى رأسه مرارا ، فاذا صار فى الطريق أو جلس الى المائدة ، أو نام ، تراه يفكر فيما سيكتبه والمعانى تنثال على ذهنه والخواطر تتوارد ، حتى اذا ما جلس للكتابة كان البحث كاملا من ناحية المعانى لا ينقصه إلا الكتابة ، والا وضعه فى ثوبه الخارجى الاسلوب - ولقد كان أخى يعانى كثيرا من ناحية اسلوبه الذى كان لا يطاوعه تمام المطاوعة ، حيث يكتب بالعربية أو يحاضر فيها ، ولقد لاحظ ذلك الذين حضروا محاضراته ومناظراته التى لم يكتبها فى الخارج بل ألقاها ارتجالا .

إن المعانى ماثلة فى ذهنه . والأفكار حاضرة فى عقله والاسلوب وحده هو الذى كان يأبى عليه ، على أنه كان يسير باسلوبه نحو الكمال بخطى واسعة وما يقال عن أسلوبه العربى يصح كذلك على أساليبة الفرنجية ، كما علمت من خاصة عارفيه ، وكماشار الى ذلك الدكتور احمد زكى ابو شادى والدكتور فريد كساب والدكتور حسين فوزى وغيرهم .

كان لأخى نواح ذهنية كثيرة : فهو عالم رياضى ، وناقد أدبى وباحث تاريخى والمعروف عنه أنه اشتغل فيما بعد بالمباحث الأدبية ، ولكن هناك جانب اخر غفل عنه الناس - أو لم يعرف عنه ذلك - هذا الجانب هو الناحية الفنية الأدبية ، فلم يعرف انه اشتغل بالنثر الفنى والحقيقة انه كانت لأخى فى هذه الناحية جولات ، فقد كتب قصصا وشعرا منثورا ومسرحيات وتحت يدى الآن قصة حب قصيرة ترجع الى عدة سنوات خلت ( وهى بخطه وسأبعث بها للحديث قريبا )وبين يدى اوراق مبعثرة من مسرحية أدبية له ، عنوانها ( فيرن وهكتور ) على أن الجزء الاكبر من هذه المسرحية قد ضاع ( وسأرسل ما لدى للحديث ايضا ) .

وكان يكتب فى الأيام الأخيرة قصة طويلة على غرار ( الأيام ) للدكتور طه حسين بك وهى تصور طفولته ونشأته ، وقد قطع شوطا كبيرا فى هذه القصة وقد قرأت جزءً منها فرأيته مال فيها الى التحليل النفسى على ضوء القواعد التى وضعتها مدرسة العالم الكبير فرويد . وكان قد اخبر صديقه الاستاذ الصيرفى بهذه القصة ، فكتب اليه الاستاذ الصيرفى يحثه على انجاز القصة ، ويطلب منه اتمامها وكنت مشغولا فى الأيام الأخيرة قبل وفاته ولا أدرى هل اتمها ام لا ؟ ولقد ضاعت هذه القصة ضمن ما ضاع من كتبه ورسائله ومكتبته كما أشرت لذلك فى مجلة الرسالة العدد ٣٧٢ (١٩/٨/١٩٤٠) .

وكان له الشئ الكثير من الشعر المنثور الذى يتميز بأصالته وعمقه ، وقد نشر له الاستاذ محمود كامل المحامى بعض القطع فى مجلة ( الجامعة ) وأظن أن الاستاذ الكيالى عنده بعض القطع الشعرية ايضا .

وله ترجمات لبعض روائع الأدب التركى والألمانى والفرنسى ، فقد نقل بعض روائع الشاعر التركى الاعظم عبد الحق حامد الى لغة الضاد ، مثل مسرحية ( نظيفة ) [١] و ( النغمات المطربة ) [٢] من ديوان عبد الحق حامد الموسوم ( صحراء ) وترجم الرواية الطويلة التى ألفها صديقه الكاتب التركى المشهور رفيق بك خالد الموسون ( بنت يزيد ) والتى نشرت مجلة الحديث الغراء الجزء الاكبر منها . ولم يتممها الفقيد ، ولذلك قصة ذكرتها فى مجلة الرسالة العدد٣٧٢ وقد اتفقت مع الاستاذ صاحب الحديث على اكمال الترجمة ، وترجم قطعة اسمها ( التاريخ القديم ) أو شئ مثل هذا وهى للكاتب التركى الفيلسوف توفيق فكرت وقد نشرتها " المقتطف " و " المجلة الجديدة " وترجم الشئ الكثير من روائع الشاعر الفرنسى الأكبر فكتور هوجو . وقد نشر قطعـــة فى مجلة " الحديث " بعنوان ( من أنت ؟ جواب الروح الانسانية ) [٣] ولدى بعض ترجمته لديوان من دواوين فكتور هوجو ، وترجم بعض القصائد للشاعر الالمانى الخالد شيلر وكان قد ترجم هذه القصائد على هامش الديوان ، وطلب منى عدة مرات أن أنسخ له هذه القصائد ليبعث بعضها للحديث . وبعضها الآخر للرسالة . وله أشياء اخرى لا أذكرها الآن وكلها من الأدب الفنى .

ولأخى مقالات وكتب غير منسوبة إليه . فكان كثيرا ما يحضر اليه الناشئون من الأدباء ، ومن يحبون ان يشتهر اسمهم ، وينبه صيتهم فكان يعاونهم معاونة قيمة فمن ذلك انه نقح رسالة عنوانها ( اللقطاء وابناء السبيل ) وأظنها لإحدى الآنسات وقد تقدمت لتنال بها شهادة مدرسية على ما أذكر .

على أننى أرى بهذه المناسبة أن اصرّح بأن أخى كان لا يكتب هذه الكتابات من أجل أجر معلوم أو مجهول . بل كان يكتبها لا لشئ . وكل لذته خدمة فكرة معينة . ومبادئ يعتز بها . وله غير هذه الكتابات التى اشرت اليها الشئ الكثير وهو فى جميع كتاباته لا يصدر قلمه إلا عن عقيدة ثابتة . ولم يعرف أن احدا استطاع ان يهيمن على شخصيته باى صورة بل كان اخى شديد الاعتزاز حتى بتعابيره ولم تعرف عنه النظرة المادية الى العلم والأدب بأى حال ، فلم يجلبا له اى مغنم بل على العكس كثيرا ما جلبا له الخسارة المادية فضلا عن المتاعب التى خصه بها الرجعيون ازاء تشبثه بآرائه . وقد لازمته هذه الخصال حتى النهاية .

---

(١) وقد نشرت فى عدد مضى من " الحديث " .

(٢) ارسلت ترجمتها " للحديث " .

(٣) " الحديث " مايو ١٩٣٩ .

إن الذى وجه أخى هذه الوجهة الأدبية والعلمية اولاً وقبل كل شئ فطـــرته ويأتى بعـد ذلك مكتبة والدى - رحمة الله عليه - فقد كان ذا ميل للأدب والعلم صاحب فريقاً من أدباء جيله وعلماء عصره أذكر منهم على سبيل المثال المرحوم السيد عبد الحميد الزهراوى مؤلف كتاب " خديجة أم المؤمنين " ومبعـــوث حماه " سورية " والمرحوم السيد جميل صدقى الزهاوى فيلسوف العراق ، ورفيق بك العظم - وقد كان وكيلاً عن الموحوم والدى فى ادارة أملاكه بمصر فى بدء هذا القرن - والاستاذ الجليل الشيخ ابراهيم الجبالى شيخ معهد طنطا وعضو هيئة كبار العلماء بالازهر الشريف وغير هؤلاء .

وكانت لوالدى مكتبة كبيرة مشحونة بآلاف الكتب العربية والتركية والإفرنجية ! فكان أخى يقبل على مطالعة هذه الكتب ويكاد يلتهمها التهاماً ، واذكر انه كان يطالع من بدء حياته حتى آخر حياته القصيرة بشغف شديد ونهم كبير ، فكان يجلس الى المائدة لتناول الطعام والكتاب بين يديه . وينام والكتاب معه ، وبلغ به الشغف الى أنه كان يقرأ وهو يسير فى الطريق وكانت له عبارة كثيرا ما كان يرددها امامى بايمان واضح وهى ( اجعل الكتاب صديقك ) وكان لا يفارق الكتب . فلا تراه الا وتحت إبطه رزمة من الكتب والصحف .

ولقد أحببت أنا الآخر الأدب ! وملت اليه وقد غذى فىّ هذا الميل مكتبة والدى ثم مكتبة أخى من بعده . ولقد تأثرت بالجو العلمى والأدبى المحيط بى تأثراً كبيراً ، فاندفعت للكتابة فى بعض الصحف أذكر منها الرسالة والثقافة [1] والحديقة والسياسة الاسبوعية والامام والدستور ومقالاً أو مقالين فى البلاغ والأهرام وأبى الهول .

وكان والدى يشجع فىّ وفى اخى هذا الميل . ويدفعنى إلى حفظ القرآن الكريم ويحثنى عليه ويفهمنى معانيه البليغة فى أسلوب أدبى أخاذ ! ويقص على سير الأنبياء وأخبار الصحابة فى كثير من التشويق وشئ غير قليل من اللذة والمتاع .

اعتقد أن السبب فى الحاد [2] أخى هو الشدة فى تربيته ، فقد كان والدى شديداً علينا كما انه كان رفيقاً بنا ، يحنو علينا كل الحنو . ويشفق علينا من كل مكروه .. وكان قلبه ينفطر لو رأى أحدنا مسه سوء أو شئ من المرض . وكانت شدته من الناحية الدينية فقد كان محافظا شديد المحافظة : مؤمنا بالله أشد إيمان : كان يرتل القرآن فى الصباح ويقرأ التفاسير والأحاديث وكان لا يعفينا من الصلاة فى اشد الأيام برودة . كنا نقوم لصلاة الفجر واجسامنا الصغيرة الرقيقة ترتعد من شدة البرد الذى يهرأ الاجسام ، فأما ادينا الصلاة فى المسجد القريب منا أو أديناها فى البيت وكان كثير الضغط علينا من هذه الناحية . وأعتقد أن هذا الضغط هو الذى ولدّ الانفجار ومهد للثورة العنيفة فانقلب انقلابا عكسيا .

كنت ألاحظ أن المعجبين بأدب أخى وعلمه يزدادون كل يوم ويتوافر عددهم وكانت تصل اليه الرسائل من الأدباء والقراء من مختلف البلاد والامصار ! وشتى الأمم والأوطان فكانت رسائل الإعجاب والتشجيع تترى اليه من سوريا ولبنان وفلسطين والعراق ومصر والمهجر الأمريكى وطرابلس والسودان والحجاز وغير ذلك

(١) كتبت فى مجلة " الثقافة " بامضاء إبراهيم جلال الدين وكتبت كذلك بعض مقالاتى بهذا الاسم فى "السياسة الاسبوعية " .
(٢) لقد أشار إلى ذلك فى رسالة " لماذا أنا ملحد؟ " وفيها تفاصيل شخصية عن سيرته لمن يحبون الرجوع اليها .

من الاقطار العربية . ومع ذلك ما كان يعنى بنشر شئ منها أو يأبه لذلك على غرار ما يصنع كثيرون من الأدباء البارزين . وسواهم فى هذا العصر فكان حب الشهرة بعيدا كل البعد عن ذهنه الذى كان منصرفاً دائماً للبحث والإنتاج فحسب .

كما كانت الصحف والمجلات ترسل اليه تطلب منه مقالات معينة واذكر ان من هـؤلاء الدكتـور فروخ محرر " الأمالى " ببيروت ، والأستاذ روفائيل بطى صاحب جريدة " البلاد والاخبار " بالعراق والأستاذ حبيب مسعود محرر " العصبة " بالبرازيل وغير ذلك من المجلات العربية وكان يجيب البعض ولا يستطيع اجابة البعض الآخر لكثرة شواغله وما يتراكم عليه من بحوث مختلفة فى الأدب والفلسفة والتاريخ والعلم ولكثرة مشاغله لم يتمكن من موافاة " البلاد " و " الامالى " بمقالاته .

وكان كثير من الأدباء فى الاسكندية ، واغلبهم من الناشئين يكثرون من التردد على بيتنا ، وكانوا يتناقشون فى شتى الأمور الأدبية والعلمية وكثيرا ما تعلو اصواتهم وتمتد مناقشاتهم ويستمرون على هذا حتى الهزيع الأخير من الليل .

وكانت له شخصية مرحة ، وكان كثير من الناس يعجبون بشخصيته ايما اعجاب ويفرقون بين الشخص وآرائه . وكان مما يدعوهم الى اكباره تقشفه وزهده الواضح فى اطايب الحياة ولذائذ الدنيا ، بالرغم من شبابه واخلاصه المتناهى لفكره ومثاليته .

ولقد مرض فى سنة ١٩٣٦ مرضاً طويلاً قاسـياً ، وكان أول من تولوا علاجه المرحوم الدكتور نجيب محروس . وقد ظلت آثار المرض عنده حتى راح من هذا العالم الفانى الى العالم الآخر . وكم كان يعانى فى مرضه هذا من الوان الالم ولكنه إحتمل العذاب بصبر ثابت ولم يغفل كتبه ودراساته ويهمل مباحثه وتاليفه ولقد كان يصارع الموت صراعا غنيفا ويغالب الداء المتمكن مغالبة شديدة .

فى يومه الأخير :

منذ أن عاد أخى من تركيا فى المرة الأخيرة - وكان ذلك من عدة سنوات خلون - سكنا معا فى بيت الاسرة بقسم الجمرك بالاسكندرية ، فى المنزل الذى آل الينا من جدنا الكبير المغفور له ابراهيم أدهم باشا وما كان أحدنا يترك البيت الا مضطراً ، إما لسفر او شئ من هذا القبيل .

وكان أخى يقضى بعض الفترات فى ضاحية أبى قير حيث الهواء الجاف كان ملائماً لصحته ، وظللنا على هذه الحال حتى أعلنت إيطاليا الحرب على انجلترا فى صيف هذا العام ، وبدأت ايطاليا تشن الغارات الجوية على الإسكندرية الجميلة وبدأت الطائرات تحوم فوق المدينة وتحلق فى سمائها وتلقى قنابلها المختلفة الانواع ، وأذاعت الحكومة لمصرية أن الاسكندرية خطرة ، وان اشد مناطقها خطرا منطقة الجمرك لقربها من مربط الأسطول البريطانى - الذى فيها بيتنا ، وهاجر الناس الى ريف مصر فرأينا ان ننتقل الى ضاحية من

انتقلت الاسـرة إلى هـذه الضـاحية إلا أخى فلم يرض بمغـادرة البيت ، وكان ذلك قبـل شهر من وفاته أو أقل .

وكان يحضر هو الى البيت الذى سكناه ، كما كنت اقابله فى بيتنا كل يوم واقضى معه طيلة النهار ، وقد اقضى معه الليل ،وفى عصر يوم وفاته قابلته فى منزلينا وتحدثنا كثيراً فى مختلف شئون الأسرة ، وفى كثير من الأخبار الأدبية أخذ يحدثني عن مشروعاته وآماله وعن سفره الى الخارج ومكثنا كذلك أكثر من ساعة ثم انشغلت ببعض امور الدنيا فصرفتنى عنه ، فانصرف هو الآخر .

وكان قد جاءه فى البريد رسالة من صديقه الشاعر الرقيق الأستاذ حسن كامل الصيرفى وهى آخر رسالة وصلت إلى يده فى الساعات الأخيرة التى كان فيها ضيفاً على العالم الدنيوى فسلمته رسالة الاستاذ الصيرفى وكنت قد قرأتها من قبل . وكانت رسالة الصيرفى مؤثرة بث له فيها العزاء عن متاعب الحياة وطالبه بالمحافظة على صحته والعمل على الاحتفاظ بآثاره وطلب منه ان يكمل له مجموعة مؤلفاته حتى اذا ما حم الفراق وكانت لدى الاستاذ آثاره كاملة - وكأنما كان الاستاذ الصيرفى يحس بأن الفاجعة قريبة - كما كتب الىّ بعد ذلك - وطلب منه أن يرسل آثاره التى لم تنشر ليعمل على نشرها فيما بعد .

وما كاد أخى ينتهى من قراءة الرسالة حتى بان التأثر على اسارير وجهه وقال لى ان الصيرفى أخ كريم وصديق وفى .. وكنت أحس وأنا أقرأ رسالة الأستاذ الصيرفى بنوع غريب من الشعور لا عهد لى به ، شعور بالألم من غير داع واحساس بحزن عميق من غير مؤثر ، وكأنما كنت أحس بالفاجعة القاتلة باللا واعية .. لقد انقلبت يومها حزيناً مهموماً .

بعد أن انصرف أخى مشيت حتى وصلت شارع سعد زغلول ، وهناك قابلته مصادفة يسير وحده . فوقفنا قليلا نتحدث ، ثم رأى أن نذهب سويا عند صديقه الدكتور فريـد كساب وتوجـهنا نحـو عيادته ولكـن قال لنا " البواب" انه غير موجود فسرنا قليلا ثم انصرف بدعوى أن عنده موعداً . وقد وعدنى باللقاء فى اليوم التالى "الثلاثاء " ٢٣ يوليو سنة ١٩٤٠ فى منزلنا فى الساعة الثالثة مساء .

ودّع كل منا الآخر الوداع الأخير فى الطريق وكانت الساعة نحو السابعة مساء وقد لاحظت أنه كان وضع رسالة الاستاذ الصيرفى فى جيب " بذلته " ولقد ودع الحياة وليس له رفيق غير رسالة صديقه ، الذى كان من أقرب الناس إلى قلبه وأدناهم من نفسه .

فى اليوم التالى " الثلاثاء " صحوت وفى نفسى هم كبير ، وران على قلبى حزن مكين وقبيل الموعد وصلت إلى البيت لأقابله فوجدت النعى سبقنى الى هناك فارتعدت أوصالى وصرت كآلة حلت لوالبها ، ولم أصدق النعى بادئ ذى بدء وشلت أعضائى عن الحركة ثم اصطحبنى احد الزملاء الى مشرحة الاسعاف حيث كان يرقد !! . دخلت الغرفة فرأيته مسجى وفوقه غطاء فازحت الغطاء بيدى المرتعدة ورأيته كما عهدته فى الحياة لم يتغيرفيه شئ اللهم الا شحوب فى وجهه وزرقة قليلة فى نصف وجهه الأيسر .

بقيت دقائق معه .. شاخص البصر اليه أودعه الوداع الأخير .. الوداع الذى لا لقاء بعده إلا يوم الحساب . خرجت وقلبى ينزف دماً وقد جمدت الدموع فى عينى والالم القاتل يقطع أحشائى ويفرى كبدى .

لقد راح اسماعيل أحب الناس إلى قلبى ، وأدناهم منى ، وأعز من فى الحياة علىّ ، فما فائدة الحياة بعده ؟! اللهم لولا إيمانى القوى بك وعلمى بقضائك وقدرك لكنت لحقت به ساعتئذ ، ولكنى تركت ذلك الحين يأتى الأجل .. لقد ذهبت يا اسماعيل للقائك فى الموعد . ولكنى لم اجد الا جثمانك المسجى ، رأيتك ممدداً لا حياة فيك ولا روح . أين امالك العذاب وأمانيك الحلوة ؟ أين ابتسامتك المشرقة تتلألأ على صفحة وجهك .

آه يا أخى إن فى القلب لغصة . كلما أقبل المساء وخيم الظلام واستلقيت على فراشى أنشد النوم أرى طيفك يزورنى . وكلما طلعت الشمس وجلست افكر رأيت أمامى شريطاً سينمائياً فأراك كما كنت فى الحياة .

لقد عشت مع أخى أعواماً طوالاً .. وسنيناً عدة . أظلنا سقف بيت واحد ، وأكلنا من إناء واحد ، وقد ننام فى حجرة واحدة ، ولكن مع كل هذا الامتزاج الظاهرى كان لكل منا مختلف شئون الحياة ، وشتى أمور الفكر فكنا على طرفى نقيض وكنت اخالفه فى كثير من آرائه أو عقائده ، ولا أوافقه إلا فى القليل النادر الذى يوافق طبعى ويوائم عقليتى ويقرب من ذهنى - الذى يختلف عن ذهنيته - ولقد كان لكل منا شخصيته المستقلة وكيانه الذى له حدوده . ولم يكن كيانى يفنى فى كيانه - كما توهم بعض الناس - ولا شخصيتى تذوب فى شخصيته كما يذوب الثلج تحت الحرارة القوية .

وليس معنى الاخوة أن لى نفس آرائه الحرة ، فكثيراً ما عارضته وخالفته وحاولت اقناعه بآرائى الاسلامية[1] وكثير من زملائى والمتصلين بى يعرفون عنى هذه الحقيقة ولكن قوماً - سامحهم الله - آذونى من أجل آراء اخى وكادوا لى وتحدثوا عنى بالباطل كأن لى نفس آرائه . أو أنى محاسب عن أعماله ، ولا يؤاخذ الله نفساً إلا ما عملت . ولم يتمكنوا منه فارادوا أن ينفثوا حقدهم الكامن فى شخصى .

اللهم ارحم اخى اسماعيل واغفر له ذنبه ، فإنه أراد أن يعرفك ويصل إليك ، والسارى نحوك لا بد له من مصباح يهديه وينير له السبيل ، وسط الدياجير ، ولكن اخى اعتمد على عقله وظن ان ذكاءه كفيل بمعرفتك وانه سيوصله الى ما يبتغى . فسافر وحده فى الدرب الشائك الوعر أمامه ديجور ، ووراءه ديجور فلم يكن معه ما ينير له السبيل . فما كان منه إلا أن ضل الطريق . فهو وان كان لم يبلغ مراده ولم ينل غايته ، فله شرف مقصده ونبل غرضه .

وأنت يا أخى نم مستريحاً فى رقدتك الأبدية فقد استرحت من عناء الحياة ومن تكاليف الدنيا الدنيئة .

---

(١) كان اخى نشر مقالا فى جريدة " المكشوف " عنوانه " مصر الحديثة بين الفرعونية والعربية " ونشرت هذا المقال " المجلة الجديدة " ثم " الامام" وقد رددت على هذا البحث بمقال نشرفى الإمام بعنوان " الروح العربية فى مصر الحديثة " والمقال بتاريخ ١٩٣٩/٨/٧ .

لقد آذاك حسادك وشتموك فى حياتك فقابلت ذلك بصدر رحب ، وثغر باسم ، وكنت تضحك منهم وترثى لهم ، والآن وقد عادوا كما كانوا عليه فلن يضيرك قولهم ولن يمسّك كلامهم . ليقولوا مازين لهم الهوى . إن أمامهم أدبك ونتاج فكرك فليقولوا فيه رأيهم ولكنهم نصبوا من أنفسهم آلهة يحاسبون الناس وميزانهم عقولهم الجامدة .

إن الدين يا أخى لله ليس لأولئك فليدعوك لبارئك . يحاسبك من هو أعلم بالسرائر ومن يعلم خافية الصدور . فإن للدين ربا يحميه . لقد أدرك هذا عربى منذ أربعة عشر قرناً والآن أبناء هذا القرن لا يعرفون ذلك ويل لهم لم يجادلوك بالحسنى وبالتى هى أحسن بل ناصبوك العداء وأفرغوا ما فى نفوسهم من حقد دفين ولقد راعهم ان يروك تحلق فى السماء وانت لا تـــزال شاباً . حينمـــا هم بلغوا ارذل العمـــر وهم فى الأوحال متخبطون وفى الجهالة راتعون .

لقد كتبت هذا المقال فى كثيرٍ من العجلة ، وفى غير قليلٍ من الألم وكتبته وأنا منحرف الصحة وأعترف بأنى لم أوف الموضوع حقه وهذا يرجع إلى الأسباب التى ذكرتها فى بدء مقالى .

فإن أرضى هـذا المقال الأستاذ نشـــره . فهذا ما استطعـــت كتابتـــه الآن فى هـــذه الظـــروف القاسية .

هذا وإنى أرى من الواجب على أن اكرر الشكر للأستاذ سامى الكيالى على عمله الأدبى هذا ، وليس لمثل عمله النبيل مكافأة ولا جزاء من أمثالى فحسبه ارضاء وجدانه الوفى السليم وضميره الحى .

إبراهيـم أدهـــم

## من رسائله الخاصة ( * )

نختتم هذا العدد ببعض فقرات من رسائله الخاصة إلى صاحب " الحديث " وفيها إلماع إلى شتى النواحي الفكرية .

" الحديث "

### رسالته الإنسانية :

" .. إن تركيا وإن كانت وطنى الأصلى إلا أنها شقت طريقها للحياة ويمكنها ان تخطو خطوات فى الاندماج فى الأسرة العالمية المتحضرة . أما الشرق العربى فللأسف لا يزال أمامه الطريق مظلما ، ورسالتى كإنسان قبل أن أكون كتركى أن أعمل على إنارة السبيل أمام هذا الشرق ركن الانسانية الكبير " .

### دراساته عن بعض شعراء مصر :

" أنا هذه الأيام منشغل بوضع دراسة عن شعر عبد الرحمن شكرى وأخرى عن شعر صديقى الشاعر الصيرفى ، وأحب أن ألفت نظرك إلى شعره فهو الأديب الرمزى الوحيد فى العالم العربى بعد جبران خليل جبران ، كذلك أدرس شعر شيبوب التصورى فى ديوانيه : " الفجر الأول " و " وضح النهار " .

### دراسته عن الريحانى :

" .. كتب الىّ نعيمه وتفضل على بمجموعة طيبة فأرجو أن تكتب اليه بالنيابة عنى تشكره من جهة ومن جهة أخرى تفيده بأن ما أرسله لى فى أمان وسأرده قريبا . وعذرى مرضى . أما الريحانى فآثاره تعوزنى وكذا كرد على .. فما العمل*تطالبنى بدراسة عن الريحانى ، وكيف يمكننى ان اكتبها وليس تحت يدى من آثاره ، غير " ملوك العرب " و ٣ أجزاء من " الريحانيات ورسالة صغيرة فى " الإصلاح والتطرف " وانت نفسك تفضلت علىّ بهذه الآثار وارسلتها . أرجو أن تعمد الى وسيلة حتى لا ينتهى هذا العام الا وتصدر لى دراسة عن أحد الاعلام السوريين " .

### دراسته عن ميخائيل نعيمه :

" .. سأخص " الحديث " بنص ردى على الدكتور بشر فارس كما سأخصها لعدد إبريل بدراستى عن

---

( * ) الحديث : العدد العاشر ، تشرين الاول ، تشرين الثانى ، ١٩٤٠ .

ميخائيل نعيمه ، وهى دراسة سترضيك ، ولكنها ستخرج فى ضعف عدد عادى من " الحديث " .. وظروف الحرب وغلاء الورق كل هذا يجعلنى أميل الى اقتراح اصدارها فى عدد يكون بمثابة عددين - ابريل ومايو معا - كذلك هذا العام سأخصك بدراستى عن " أمين الريحانى " اما "بنت يزيد " فأنا فى دهشة لعدم وصولها اليك مع انى ارسلتها فى أول ديسمبر المنصرم بالبريد المضمون " .

**دراسته عن محمد كرد على :**

" .. انتظرت آثار كرد على حتى أشرع فى دراستها ، وكنت على مضض فى المستشفى . ولو وصلتنى وقتها لكانت فرصة نادرة لاستيعابها ومع هذا فأنا فى الانتظار لأكتب دراستى عنه " لقد كتبت اكثر من مرة الى الأستاذ كرد على ليوافيه بمجموعة من مؤلفاته ولكنه لم يرد على هذا الطلب ، وقد قابلته مرة فاعتذر متواضعا ثم علمت اخيرا من الأستاذ خليل مردم بك ان الاستاذ كرد على لم يشأ ان يدرس حياته الادبية مستعرب دخيل على العربية فعجبت ان يذهب علامتنا هذا المذهب الملتوى وهو فى الأصل يمت الى الكردية بنسب عريق ! ولم يمنعه هذا ان يخدم العربية اجلّ الخدمات .

**دراسته عن يعقوب صروف :**

" .. قريبا سنخرج دراسة عن يعقوب صروف ، وهى فى ٢٥٠ - ٣٠٠ صفحة من قطع " المقتطف " وسأبدأ بكتابتها قريبا ولن تستغرق منى جهدا اكثر من اسبوعين لأن المادة كاملة عندى " . ولا اعلم اذا كان كتب هذه الدراسة وهل هى فى حوزة الاستاذ فؤاد صروف . أم فقدت بين آثاره المضيعة ؟

**دراسته عن مطران تضنيه :**

" .. لعل دراستى عن مطران تعجبك فى مراحلها ، وقد اجتزنا الى الان ثمان مراحل " وأمامنا اثنى عشر مرحلة وسيجئ البحث مجلدا فى قرابة ٣٠٠ صفحة وقد أتعبنى البحث واضنانى كثيراً ، وأنا أشتغل الآن فى القسم الثامن منه فى المستشفى " ..

وقد كان يعتزم ، رحمه الله ان يكتب عدة دراسات أدبية عن أدباء سورية والمهجر . عن جبران ، إلياس فياض ، أيليا أبو ماضى ، الشاعر القروى ، المعلوف .. وغيرهم وغيرهم .

**بينه وبين الدكتور بشر فارس :**

" دراستى عن توفيق الحكيم قوبلت هنا بالترحيب فى كـل الدوائر وكتب عنها اكثر من عشرين كلمة بين " الرسالة" و " الثقافة " و " المقتطـف " و " والصـباح " و " السياسة الاسبوعيـة " و " البصير "و " الأهرام "

و " المقطم" و " الجامعة " و " الإمام " و " السفير " وغيرها وغيرها .. غير ان الدكتور بشر فارس شذ عن الجميع وعاب بعض أشياء ، وبيننا هذه الأيام تدور مساجلة على صفحات " الرسالة " وقضيتي الى الساعة راجحة رغم كوني طريح الفراش تعوزني المواد ، وهو صحيح معافى تصل يداه الى ما يشاء من المصادر التى تؤيده فى مزاعمه .. كما يرى .. ولعلك واقف على المناظرة فهى طريفه .. "

## الاستاذ مظهر والمكشوف :

" أما ما كتبه المكشوف فلم أقف عليه ، وإن كنت أعرف نيتها فى اتهام مظهر باللصوصية لأنها أعلنت عن ذلك فى عدد سابق كنت طالعته عند صديقى الاستاذ فليكس فارس ، غير أنى عملت على مراجعة كتاب مظهر عن تاريخ الفكر العربى وما كتبه العلامة المستشرق أو ليرى ، وكتابه عندى فوجدت أن هنالك نواحى من التشابه ولكن لا تصل لحد الاتهام باللصوصية .

لقد اقتبس مظهر " شيئا عن أوليرى " وهذا رأيى الخاص ، أما رأى الأستاذ مظهر فلا أعلم رأيه الشخصى ، وعلى كل حال سأخاطبه فى هذا الشأن تليفونيا غداً صباحاً .

## يأسه من الكتابة باللغة العربية :

وقد يأس من الكتابة باللغة العربية فقد كتب لى مرة يقول بصدد المصاعب التى يلقاها المؤلفون :

" .. إن المصاعب التى ترونها نموذج لما نلقاه نحن - وإن كنا أجانب - فى الشرق ، فمؤلفاتى العربية لا تباع بالمرة بل أوزعها بالمجان ، أطبع منها بضعة آلاف تذهب كلها فى أيام قلائل هدايا . بعكس الحال فى مؤلفاتى فى اللغات الاجنبية فهذا كتابى عن ابى شادى الشاعر - وهو بالانجليزية - وقد طبع منه فى يناير ١٩٣٧ ( ٧٥٠٠ ) نفدت جميعها ويعاد طبعها الآن فى ليبزيغ " .

## الشرق العربى والثقافة الحقة :

" إن بلاء الشرق العربى اليوم هو عدم اهتمام ابنائه بالثقافة الحقة ، وعدم معاونة الحكومات الأدباء والمفكرين حتى يقووا على مواصلة انتاجهم ، ولكم يحز فى قلبى أن ارى كل يوم وأنا راكب الأوتوبيس من أبى قير ، وهى ضاحية تبعد نحو ساعة عن الاسكندرية حيث أنزل فيها ، إلى الاسكندرية فتيات الانجليز وابنائهم كل يتأبط كتاباً ، ويأخذ مجلسه فى الأوتوبيس حتى تراه قد انكب على القراءة يكمل ما بدأ به من قبل ، فى الترام ، فى عربات الاوتوبيس ، فى النوادى ، بل وعلى شواطئ الكورنيش . أرى القوم يقرأون ، ولا أصادف مصريا واحدا يقرأ ، وان رأيت واحداً فإنما يصدمنى فى يده كتاب من كتب الأدب الرخيص التى راجت أيما رواج فى مصر .

هذا هو سبب كساد المجلات والكتب فى عالم الشرق . مع ملاحظة أن عدد المتعلمين لا يزيدون عن ١٠ فى المائة فى مصر ولا يبلغون هذا العدد فى العراق وربما ارتفعت النسبة فى لبنان وسورية ، فاذا كان عدد المتعلمين يكاد يكون محصوراً وهؤلاء عن القراءة عازفين فقل على الأدب والثقافة عفاء وأى عفاء .

هذا العيب راجع الى اسلوب التعليم فى الشرق ، الذى يخرج أدوات حكومية وآلات تعمل ، تتعلم لتتوظف ولكن لا لتفكر وتسعد بنعمة التفكير ، وان رأيت واحدا يقرأ ويشترى الكتب ليقرأ نجد بجانبه عشرات يقرأون كلاً عليه ، وبهذا يقف دولاب الأدب فى الشرق " .

**شكره للحديث :**

" .. ولا يسعنى الا شكرك على ما تبرزه من تقدير لمباحثى فى العربية رغم ان قلمى غير متمكن فى اللغة وأكتب كل ما نشرته فى العربية فى أوقات فراغى من دراساتى العميقة ، الشئ الذى يخرجه سطحيا " .

# الدكتور أدهم

## كيف عرفته ؟ ...

بقلم

محمود تيمور *

فى صيف سنة ١٩٣٩ لقيت المرحوم الدكتور اسماعيل ادهم اول مرة ، وصحبته وقتاً ليس بالقصير ، اذ كنت اجتمع به فى صفوة من ادباء الثغر الاسكندرى بين آن وآن . وفى الحق انه ما كان يدور بخلدى ولا بخلد أحد غيرى توقع هذه الخاتمة الفاجعة لذلك الصديق ؛ على الرغم مما يبدو فيه من بعض الشذوذ .

تم لقاؤنا فى مشرب " التريانون " فاذا هو شاب نحيف ، اقرب الى القصر منه الى الطول ، ذو سحنة شركسية لا تفصح عن صحة موفورة ، ولكنها مع ذلك لا تنم عن علتّه .

وقد استقبلنى فى تلطف اذكرنى الادب التركى القديم ، ذلك الأدب الذى يتجلى فيه كثير من مظاهر المجاملة والتكريم . وجلس فى بادئ الأمر مؤثراً للصمت والاستماع ، فأن خرج عن صمته أرسل الكلام فى صوت خانت كأنه الهمس ، تكاد تخطئه الأذن !

وانقضى اللقاء الأول ، فلم اشهد منه انطلاقا فى التحدث ، ولا رغبة فى امتلاك زمام المجلس ، فقد كانت تغلب عليه الاستكانة والانزواء .

على ان اول ما راعنى منه شيئان : عين تشع ذكاء وألمعية . وابتسامة يختلط فيها التلطف والدماثة بشئ من الملاحظة الدقيقة اللاذعة . وذلك ما كان يستبين لى فيما اقرؤه له من نقد ودراسة .

ولما ترادفت اجتماعاتنا ، وتوثقت صلاتنا ، عرفت فيه ميزة اخرى ، هى ميزة الصراحة والجرأة . فأما الاستكانة التى كانت مظهره فى الجلسة الأولى ، فقد افسحت الطريق لاندفاع فى التحدث ، وحرية فى ابداء الرأى . ولولا أنى لاحظت فى صوته بحة ملازمة ، لقدّرتُ ان يكون له فى ميدان الخطابة شأن عظيم .

ولقد رأيته حين يعرض فكرة ،أو يحلل مذهبا ، ينطلق كالسيل ، فيدعم قوله ببراهين قوية تأخذ على مناظره السبيل . وهنا تبدو جوارحه كلها تشاركه فى النقاش ، فاذا به كله يتكلم ، واذا بشفتيه ترسلان الجملة فى اثر الجملة ، فلا تكاد تتابعه الاسماع .

---

* الحديث ، كانون الثانى " يناير " ١٩٤١ ، ص ١٨ وما يلى .

ولست اريد فى هذه العجالة ان اتناول ادب الدكتور ادهم بالدرس ، أو اتعرض لجوانب كثيرة من شخصيته بالتحليل ، وانما اقصر كلمتى على تلك الميزات التى المعت اليها من قبل ، وهى : الصراحة ، والجرأة ، والذكاء . ولعل هذه الشمائل أهم العناصر التى كوّنت طابع ذلك الاديب فى حياته واعماله . وربما كان اكبر الاسباب كذلك فيما اصابه فى دنياه من آلام ومنغصات .

ومن لم يرَ الدكتور أدهم ، لم يتعذر عليه ان يتعرف تلك الصفات فى دراساته ونقداته . فلقد كان ذكاؤه يسعفه اذا اعوزه التحصيل . وكانت الجرأة والصراحة عوناً له على اعلان آرائه المتطرفة فى الدين ومذاهب الاجتماع .

واذا لم نكن على رأيه فى كل ما ذهب اليه ، فاننا لا ننكر ما لهاتين الخلتين من أثر له خطره فى حياتنا العقلية . فقد طالما ألفنا من الشرقيين رخيص المجاملة والمداهنة ، فلا نبالى بما يجنيه التستر على الحقائق من جرائم العقل والخُلق .

وان اديبا يحمل لواء الجرأة والصراحة فى الادب العربى المعاصر ، لهو خليق من قومه بالثناء والتكريم . وان عمله هذا لجدير ان يغرى شبابنا الادباء باقتفاء اثره ، فنرى منهم الجهر بعقيدتهم فى صدق واخلاص واستقلال نظر . وحسب الدكتور ادهم ان يكون له هذا الفضل .

ونحن حينما نحض على ان يكون الادباء صرحاء جرءآء ، فانما نحض على اعظم المقومات الخلقية شأناً . فقد لبثنا سنين فى غمار المخادعات والاكاذيب . يلقى كل منا أخاه بمجاملة مزورة ، وتطلع الصحف على قرائها مشحونة بالوان التغرير فظننا انفسنا كبارا ونحن أقزام ، وانتفخنا على غير سمن . فما أطيب ذكرى من عمل على تمزيق الستر المستعار ، ولفت الانظار الى ضرورة احترام الحقائق والأزراء بالمجاملات .

هذا وان كل أديب صادق العاطفة ليشعر بأسف على فقد ذلك الباحث الفاضل الذى كان له اثر فى ادبنا العصرى ... ويشعر الى جانب ذلك بواجب نحو ذكراه ، نهضت به مجلة " الحديث " على احسن وجه ، فقد أصدرت عدداً خاصاً بتاريخ حياته ، والاشادة بجهوده ؛ فهى بهذا الصنيع تقابل بالمثل جميل الدكتور ادهم الذى كان يعنى فى حياته بدراسة معاصريه الادباء والكتاب .

محمود تيمور

## على الشاطئ اللانهائى

بقلم
الشاعر الرمزى
الاستاذ حسن كامل الصيرفى *

- ١ -

كاد الشاطئ ان يكون خالياً ، فان الظلمة التى حطّت بكآبتها على ثغر الاسكندرية قد أفقدت شواطئه البهجة التى كانت ترفرف بأجنحتها عليها ، وكأنما هذه الظلمة قد بثّت فى النفوس بعض لونها واخلتها من عرائس احلامها كما اخلت الشواطئ من عرائسها وجنياتها ، وكان القمر قد بدأ يطلع متأخراً ويلقى باشعته متكسرة على الأمواج الصاخبة الغضوب حرمتها ابالسة الشر من ملائكة الرحمة والحنان والحب اللاتى كن يجدن فوق هذه الامواج ما وجدت دليلة فى حب شمشون الجبار .

وكان شبحٌ يروح ويجئ على شاطئ " جليم " ينظر تارة الى الامواج الصاخبة والى القمر الذى يطلع فى سكون وجلال . ثم ينظر تارة اخرى الى المدينة التى لُفّت فى ثياب دامسة وانطوت معالم أنسها تحت تجهُّم الظروف وقطوب الحوادث فيتنهد كتنهدة هذا البحر .

كان هذا الشبح العابر قد كدّه السير فوقف يسترجع من حياته ما يسترجع من ذكريات ، ويستعيد من مواكب ايامه ما يستعيد فلا يجد الا نضالاً وكفاحاً ، شأنه شأن هذا البحر . على شطئآن هذا الثغر لعب طفلاً ، وعلى هذه الشطئآن مرح صبياً ، ثم على هذه الشطآن لقى المكاره وحمل المتاعب شاباً .

فى هذا المكان كم وقف منفرداً ، وكم وقف مع رفقة له ، وكم حبّب الى صديقه الشاعر فى زوراته الصيفية الوقوف فى هذا المكان . وكان فى وقوفه منفرداً او مع رفقته أو فى صحبة الشاعر ينظر الى المدى البعيد وراء هذا الموج المتلاطم باسماً طروباً يحس ان له آمالا أبعد من هذا الافق . وكان يتجرد من مقاييس العلم فيقف كأنما هو شاعر ينظر الى البحر فيحس ان فى صدره بحراً ، وان فى هذا البحر كنوزاً ، وان وراء هذه الكنوز اسراراً . وان هذه الأسرار لو تكشفت لبهرت عين العالم ... فما له الليلة لا يقف فى هذا المكان وقفته فى الليالى الاولى ، وما له يحس ان البحر الذى كان فى صدره قد غيض ماؤه فتحوّل الى صحراء جرداء لا أمل فيها ولا رجاء !

---

* الحديث ، فبراير ١٩٤١ ، ص ٦٦ وما يلى .

لقدحصّل من العلم ما حصّل ، وضرب فى اودية الفلسفة ما شآء له عقله المتفتح ان يضرب ، ومزج فى نفسه بين العلم والادب ، وجمع فى صدره بين روحانية القلب ومادية العقل ، بين عجينة هذا وعصير ذاك ، وحاول ان يمتد بفكره الى ما ورآء ابعد الحدود فيحيط هذا الكون بمقاييسه ومقرراته ، ولكن شيئا واحداً ظلّ يعنيه وراح يشقيه ويضنيه ، ذلك هو علم ما في صدور الناس . فلا العلم ولا الفلسفة ولا روحانية القلب ولا مادية العقل استطاعت ان تبث فى نفسه العزاء عما كان يلقى من عنت الناس وجحودهم ، وما يضعون فى طريقه من قيود ، وما يصبغون به نزعاته وافكاره .

وتصخب الامواج المرة بعد المرة ، وتلطم الشاطئ فى غضب المحنق . فى البحر اسماكٌ تدعو الغريزة فيها كبيرها لابتلاع صغيرها ، وفى البرّ بين هذه النفوس التى تعاقبت عليها الأجيال بأديانها ومذاهبها وقوانينها وشرائعها فما استطاعت ان تستل من النفوس البشرية احقادها وتهذب غرائزها . فعلام يفخر الشاطئ ويقف باناسيه مزهواً على هذا البحر ! .

البحر لا يبتلع جيفة ، ولكن الشـــاطئ يغلق صـــدور أبنائـــه على ما هـــو أشد من الجيفة ، على الأحقاد والشرور .

ان جَزْرَ الامواج تراجع من البحر لا عن شعور بقوة الشاطئ ، ولكنه فرار السليم من الأجرب ، وأنفة المعتز بنفسه من ان تدنسه ادران الشاطئ .

الموج يلطم الشاطئ ثم يعود ليغلق قلبه على كنوزه واسراره ، والقمر ينظر من عليائه على هذا العراك الدائم والنضال الابدى . يطل فيرى على الشاطئ انساناً صامتاً ساهماً يفكر فيطيل التفكير .

وتندفع الموجة تلو الموجة فى عنف تحاولان تنبه هذا المفكر الساهم ثم تنكسر على الشاطئ . وفى صدر هذا الصامت امواج مثلها تجيش وتنكسر ، وهو هو حيث وقف .

انه صدر لم يستطع المرض الغلاب ان يحطمه لأنه كان يحتفظ بذخيرة من العزم والنشاط ، فما لليأس ينال منه ما لم يستطع المرض ان ينال .

وتهتف الامـــواج به : ان كان الشـــاطئ قد ضـــاق بك فصـــدرى أرحب منـــه ، بل ارحـــب من الحياة كلها .

ويستمع الى النداء فيهتزّ جسده له ثم يمرُ القمر باشعته عليه فيراه قد خطّ سطوراً فى ورقة بيده ويتبين القمر منها .

" معذرة اذا لم أكن انتظرتك فى الميعاد لأننى والحق قررت شيئا خطيراً هو الانسحاب بهدوء من الحياة بعد ان منيت بفشل تحقيق انسجام نفسى مع العالم الخارجى . وربما بدت لك قصة عجيبة ولكنها هى كذلك "(١) .

ثم تغشى أشعة القمر كلالة وكأنما هى دمعة جالت بعين القمو فما يكاد يكفكفها حتى يتبين بعد جهد سطوراً اخرى ختمت بها الرسالة :

" ومعذرة عن رداءة الخـــط فأنا للأسـف أكتـــبه فى " جليـم " على شاطـــئ الكورنيـــش على ضوء القمر .

وأرجو ان تذكرنى بخير دائما . "(٢)

على ان نداء الامواج يعود بعد ان تلاشى فيرتفع ، ويحس هذا الساهم ان الوقت قد طال ، وان القدَر يتحرك حيث طال وقوفه فيتقدم الى هذه الأمواج الصاخبة ليلقى الهدوء والعزاء فوق صدرها .

ثم تصخب الامواج صخبا عاليا ، وتكسر اشعة القمر ، ويبدأ الليل يمد كل سلطانه على هذا العالم قبل ان يدهمه الفجر .

كان ذلك مساء ٢٤ يوليه سنة ١٩٤٠ .

وينصل الفجر من غمده ليشق هذه الظلماء ويبعث بتباشيره الى الوجود ، ويمتد ضوءه شيئاً فشيئاً معالم الثغر الكئيب .

وتنطلق النفوس من عقالها ، ولكن نفساً كانت شعلة من الذكاء والنشاط قد عقلها الموت بعد أن اطفأ الموج شعلتها ، وردها البحر الى الشاطئ بعدان اخذ أعزّ ما فيها . ردّها الى الشاطئ الذى لَقِيَتْ عليه ما زهّدها فى الحياة لتجد الراحة التى كانت تنشد ، وتصل الى الشاطئ الذى ضلّت طريقه ...

- ٢ -

وأذاعت الجرائد خبر انتحار العالم الأديب الشاب الدكتور اسماعيل احمد ادهم زهدا فى الحياة ، وكان لى ان أعجب لهذا الحادث الى جانب الفجيعة فى تلقيه لأننى تلقيت من أدهم رسالتين وردتا الى فى وقت واحد قبل انتحاره باسبوعين ، ولم اشتم منها ما يشعر ببأس كاتبهما وان كان قد أعاد الشكوى مما يلقاه من شتى صنوف

---

١ ، ٢ - مقتطفات من الرسالة التى كتبها الفقيد مساء ٢٣ يوليه سنة ١٩٤٠ الى صديقه الدكتور حليم نسيم .

الأساءة ضروب الكيد والاضطهاد وكان اخر ماشكا الكيد له باسم السياسة فى احرج ظروفها .. ولم أجد منه على ما كان بينى وبينه من مودة لم يؤثر فيهااختلافى وأياه فى مذاهبه الفكرية رغبة فى السياسة أو انغماساً فى حمأتها ... وكم من مرة اشيع عنه ان كل ما ينسبه لنفسه محل شك وريبة ، وفى ذلك يقول الدكتور احمد زكى ابو شادي : " لما كنت أربأ بنفسى وبزملائى عن مواطن الشبهات فقد رأيت من الواجب على ان اكتب الى القنصلية التركية فى الاسكندرية كتاباً مسجلاً ذاكراً ما يردده خصوم الفقيد وعلى الأخص عن انتسابه زوراً الى جامعة استانبول حتى تعلن تبرؤها منه اذا كان دعياً فى ذلك أو فى غيره . فكانت النتيجة ان القنصلية التركية ازدادت احتضانا له واعتقد ان هذا مما ساعد على اطالة اقامته فى مصر بالرغم من آرائه الحرة المتطرفة . وأخبرت الفقيد عن ذلك لم يستأ من تصرفى فى هذا بل على العكس رحب به ، واعتبره سلوكا منطقيا لا غبار عليه " (١) .

كان يشكو من مثل ذلك ، على ان هذا لم يضعف عزمه على العمل ولم يؤثر فى نشاطه ولم يزعزع حبه للحياة لان المستقبل كان امامه فسيحا وكان يخطو اليه بمثل السرعةالتى خطا بها الى الموت .

كتب الى ينبئنى ان نفسه طيبة وانه قد يرحل عن مصر ويعتزم قبل الرحيل ان يمر بالقاهرة . على ان جملة واحدة فى خطابه كانت كأنما القدر يحطها بيده هو لا بيد أدهم اذ طلب الفقيد الى ان استعجل اخراج دراسته عن مطران " قبل انصرام يوليه فلا يعرف المرء اليوم ماذا سيأتى به الغد ، وما يصح انجازه الآن لا يترك الى الغد " .

ولقد كتبت اليه رسالة شاءت الأقدار ان يستلمها فى الساعات الاخيرة من ضيافته على هذا العالم وان تكون آخر ما قرأ فى دنياه ، وكنت احس احساسا غريبا من جانبى بان رسالتى هذه قد تكون الاخيرة ، ولم استطع ان أعلل ذلك وقت تحرير الرسالة حتى ادركت العلة حين فاجأتنى جرائد الصباح فى يوم الخميس ٢٥ يوليو وورود رسالة من الصديق الدكتور احمد زكى ابو شادى تنعى الى الفقيد .

روى الاستاذ صديق شيبوب ان الفقيد قابله صباح يوم الثلاثاء الذى انتحر فيه وقد كلفه بأمر يقضيه له وتواعدا على اللقاء فى يوم الخميس (١) .

كما روى الاستاذ توفيق حبيب ( الصحافى العجوز ) ان ادهم كان قبل وفاته بيوم مع جماعة من اصدقائه وهم الدكتور عبد الغنى مصباح ومصطفى جميل بك والاستاذ خليل شيبوب وشكا لهم سوء صحته ، ولم تكن تظهر عليه لوائح الاضطراب (٢) .

وقد قص على الدكتور مصباح ان هذا الاجتماع كا يوم انتحار أدهـــم بالذات ، وانه ظل معـــه على مقهى " التريانو " بمحطة الرمل حتى حان موعد الغذاء . كما ذكر لى الدكتور ابو شادى ان المرض كان يغالبه فى ايامه الاخيرة مغالبة شديدة .

---

(١) جريدة البصير - عدد ٢ اغسطس سنة ١٩٤٠ .
(٢) جريدة الاهرام - عدد ٣ اغسطس سنة ١٩٤٠ .

وكتب الى اخوه الاديب ابراهيم ادهم يذكر انه توجه يوم الثلاثاء " ٢٣ يوليه " الى دارهم بحى الجمرك ، وكانوا قد هجروها ، وقام فيها اسماعيل وحده ، فالتقاه هناك فسلمه رسالتى الاخيرة وكانت الساعة الرابعة مساء . وانهما ظلا سويا مدة من الزمن ثم انصرف اسماعيل وبقى اخوه فى الدار ما يزيد عن الساعة . ثم التقاه بعد ذلك مرة اخرى - وكانت هى المرة الأخيرة - وذلك فى شارع سعد زغلول فسار معا نحو نصف ساعة ثم افترقا على ان يلتقيا عصر اليوم التالى .

وقص على الدكتور حليم نسيم انه مر فى المساء بعيادته وترك له موعدا للقاء ولكنه لم يقابله حيث كان قد فرغ من امور هذه الدنيا ، وحرر له الرسالة التى اعتذر فيها عن عدم انتظاره فى الموعد .

واعجب الأشياء ان ييأس هذا الشاب من التوفيق بين نفسه والعالم الخارجى ، ويئى بفشل فى الانسجام بينهما فتنسجم حياته مع الموته التى اختارها .

لقد كانت حياته بحرا متلاطم الامواج تدفعه فيها موجة بعد اخرى ، وهكذا مات بين الأمواج تدفعه موجة بعد موجة .. !

- ٣ -

شهدجميع من عرفوا ادهم واتصلوا به عن قرب بأنه لم تكن فى اخلاقه غير نزاهة الرجل وجرأة الشجاع واخلاص الوفى (١) وانه كان عفيف النفس يقنع بميسور الرزق ، ويتكرم عن طلب المعونة ولو كانت جزاءً على عمله (٢) واذا صح عن اديب شرقى انه لم ينتفع مطلقاً اى انتفاع مادى ، بكتاباته وتشبث بآرائه جملة وتفصيلا الى النهاية . وعد ذلك ثروته التى يعتز بها فذلك هو اسماعيل ادهم (٣) ولو انه خادع الناس عن عقيدته كما يفعل بعض الأكياس من الادباء لأدرك السلام فى الارض وان لم يدركه فى السماء . ولكنه كان اشبه بشهداء الكفر الذين يجدون اللذة فى الالم ، ويبتغون الخلاص فى الموت (٤) .

كان ربعة فى الطول ، صغير الجرم الا انه لم يكن نحيف البنية ، اسود الشعر فى غير قتام تنهدل خصلات على جبينه العريض . اما وجهه فابيض يميل الى الطول ، منبسط عند جبهته ، دقيق عند ذقنه التى كان يطلق فيها بعض شعرانها حينا فيدو شيخا فى الاربعين ويحلقها حينا اخر . وكان غليظ الشفتين ، فى اسنانه فلج . اما

---

(١) الاستاذ صديق شيبوب - جريدة البصير فى ٢ اغسطس سنة ١٩٤٠ .
(٢) الاستاذ احمد حسن الزيات - مجلة " الرسالة " عدد ٣٧٠ السنة الثامنة ص ١٢٤٦ .
(٣) الدكتور احمد زكى ابو شادى - جريدة البصير عدد ٩ اغسطس سنة ١٩٤٠ .
(٤) الاستاذ أحمد حسن الزيات - العدد المشار اليه .

عيناه فكان فيهما وميض حائر . وكانتا تشفان فى بعض الحالات عن الوداعة والهدوء ثم لا يلبثان حتى يبدوا كالبحر العميق فيها رهبة وورآءهما سر عميق .

وكان شديد الذكاء ، أصيل العقل ، رياضى الفكر ، واسع الثقافة لا يؤمن الا بالعلم والمنطق (١) قوى الحجة الى درجة تدهش من يعرف سنه ، صلب الرأى وان لم يعارض ذلك سعة صدره ازاء النقد (٢) سريع الخاطر ، يكتب رسالتين فى وقت واحد (٣) رأيته بنفسى يعالج اكثر من ثلاثة مباحث فى جلسة واحدة يكتب فى كل منها صفحات ، كما عرفت عنه الشجاعة الادبية ، ولقد كانت شجاعته مصدر تعبه .

عرفته صيف سنة ١٩٣٧ حين التقيته فى ( ندوة الثقافة ) بالاسكندرية ، وكنت قد ذهبت إلى هذا الثغر اقضى بضعة أيام ترويحا للنفس فتعارفنا بالوجوه ، وكان كلانا يعرف الأخر مما كتب ونشر . فأدهشنى أن أجد هذا الثائر فى وداعة الطفل ... كان لا يحقد على انسان ، ولا يثور لنقد يوجه اليه ، ولا ينال من خصمه بمر القول ... اعجبتنى منه نواح واغضبتنى اخرى فاظهرت له غضبى من نواحيه المتطرفة فى العقائد والأديان فلم يسوءه تعبيرى له ، ولم يقطع وده ومراسلاته عنى ، وتجنب الحديث او الكتابة الى فيما يمس الدين .

لقد كان لى من هذا الرجل جانبه الخلقى والادبى ، اما جانبه فى الدين فامره الى الله يهديه اذا شآء ، وكنت اقدر فيه ميزة طيبة هى انه لم يتخذ طريق الصداقة بينى وبينه وسيلة لبث شئ فى نفسى ، وكذلك لم يتخذ مع اخيه الطالب بمعهد الاسكندرية الدينى شيئا من ذلك او حاول تشكيكه .

لقد وفى لى فى صداقته حبا فخسرت بموته أخا لا يعوض ، فهل أجدنى امام محض الوفاء قد قمت فى هذه الدراسة ببعض الجزاء ... ؟

يتبع :  حسن كامل الصيرفى

---

(١) الدكتور ابو شادى - جريدة البصيرعدد ٩ اغسطس سنة ١٩٤٠ .
(٢) الاستاذ توفيق حبيب ( الصحافى العجوز ) - جريدة الاهرام عدد ٣ اغسطس سنة ١٩٤٠ .

٢

## فى الخضم

### حسن كامل الصيرفى *

- ١ -

فى يوم ١٧ فبراير سنة ١٩١١ ولد اسماعيل احمد ادهم بحى محرم بك بمدينة الأسكندرية من أبوين حملا فى دمهما عناصر سلالات متباينة الاصل فكان للطفل من هذا الميراث ذخيرة من الحيوية ومادة من النشاط ، كلاها عجيب ، والصفات العقلية خاضعة لنظام الوراثه (١) ، فهو من جهة والدته لأبيه يجرى فى عروقه الدم المغولى ، ومن جهة جده لأبيه ابراهيم ادهم باشا يجرى فى عروقه دم سلالة حوض البحر الابيض المتوسط حيث كان ابوه يونانيا بالدم فى حين كانت امه ألبانية بالأبوة تركية بالامومة .

وكان جده لابيه هذا من ابرز رجالات القرن التاسع عشر فى مصر ، وقد عليها فى عهد محمد على باشا وانخرط فى سلك الجندية بوظيفة ضابط فى المدفعية فلم يلبث ان استرعى الانظار بحذقه لفنون الحرب واتساع معارفه وثقافته (٢) وكان ان ارسله محمد على فى بعثة الى انجلترا ومعه خمسة عشر شابا . وقد ورد ذكره فى العبارهة التى فاء بها محمد على باشا مخاطبا احد المندوبين الانجليز سنة ١٨٣٨ وهى :

" ان بلادكم لم تصل الى ما وصلت اليه من الرقى الحالى الا بمجهود اجيال كثيرة مضت وان الطفرة محال فى رقى الأم وتقدمها ،ولكن يمكننى ان اقول انى قد قمت ببعض الشئ لمصر واصبحت الآن تمتاز على ممالك كثيرة ، لا فى الشرق فحسب . بل فى الغرب ايضا . نعم يعوزنى شئ كثير لازلت اجهله ، كذلك يعوز شعبى شئ كثير . ولذلك ترانى الان مرسلا الى بلادكم " ادهم بك " ومعه خمسة عشر شابا ليتعلموا ما تعلمه بلادكم ، فعليهم ان ينظروا الى الاشياء بانفسهم وعليهم ان يمرنوا على العمل بايديهم وان يخبروا مصنوعاتكم جيدا ليعلموا وليكشفوا اسباب سبقكم ورقيكم . واذا ما مضوا زمنا كافيا بين اهل بلادكم عادوا الى بلادهم وعلموا الشعب (٣) .

وقد روى على باشا مبارك فى " الخطط " انه كان لابراهيم ادهم باشا معرفة تامة باللغات العربية والتركية

---

* الحديث ، مارس ١٩٤١ ، ص ١٨١ وما يلى .

(١)الدكتور شريف عسيران ، الوراثة والمحيط واثرهما فى العقل والخلق " المقتطف " اكتوبر سنة ١٩٣٣ ص ٢٨٥ م ٨٣ .

(٢) الاستاذ صديق شيبوب " البصير " فى ٣ اغسطس سنة ١٩٤٠ .

(٣) الستاذ محمد رفعت بك كتاب " تاريخ مصر السياسى " ص ١٢٥ طبعة عام ١٩٣٤ وص ١٠٦ طبعة ١٩٣٥ .

والفرنسية ، وكان يتقن الهندسة فتخرج عليه اكثر من طالب فى هذا الفن [١] وكان من اشهر المهتمين بامر التعليم بمصر حيث عين رئيسا لمجلس المعارف العالى ومه نخبة من عظماء رجال العلم فى ذلك العصر [٢] .

وكان ادهم باشا ( أدهم بك حينئذ ) عندماسافر الى انجلترا يشغل منصب رئيس المدفعية ومدير ورش المهمات الحربية [٣] روى سمو الامير عمر طوسون انه لما سافر ادهم بك مع هذه البعثة تزيا بزى الانكليز وحاكاهم فى احوالهم وعاداتهم فعلم بذلك محمد على باشا فارجعه مغضوباً عليه منه وقال : " اننى بعثته ليعاين فابريقاتهم ويقف على صنائعهم لبثها فى مصر ، لا ليقلدهم فى ملابسهم وعاداتهم ، ثم عفا عنه بشفاعة حفيده عباس باشا وعينه مديرا للمدارس خلفا لمصطفى مختار بك الذى فصل منها وكان ذلك فى ١٧ مايو سنة ١٨٣٩[٤] وظل فيه الى٢٤ مارس سنة ١٨٤٩[٥] وبذلك يكون ثانى من تولوا نظارة المعارف فى الحكومة المصرية .

وفى ١٨ اكتوبر سنة ١٨٤٩ عاد الين ظارة هذا الديوان وظل فيه الى ٨ مايو سنة ١٨٥٠ أى فى عهد ابراهيم باشا والى مصر ، حتى اذا ولى الامر اسماعيل باشا سنة ١٨٧٣ استأنف جهود والى مصر الكبير فأعادتاليف ديوان المدارس وعهد بادارته الى المرحوم ادهم باشا [٦] وأمره بتنظيم المدارس الجديدة واكثرها يرجع انشاؤه الى عهد محمد على . واختار ادهم جهةالعهباسية مقرا لاكثر مدارسه وخصص جزءا من الدخل لانشاء المدارس فى الاقاليم (٧) وظل فى هذا الديوان من ١٦ يناير سنة ١٨٦٣ الى ٢٩ يونيه من السنة نفسها (٨) ثم اعفى بعد هذا التاريخ من الخدمة وعاد الى الاستانة حيث توفى فى ٢٧ مايو سنة ١٨٦٤ (٩) . وقد شغل ايضا من المناصب منصب محافظ القاهرة وناظر الاوقاف وناظر الحربية فى مصر (١٠) .

* * *

هذا جده لأبيه ، اما جده هو فهو اسماعيل بك ادهم الذى سمى باسمه وكان استاذا للادب التركى بجامعة برلين (١١) وقد خلّف لولده مكتبة عامرة مشحونة بآلاف الكتب (١٢) .

---

(١) الاستاذ صديق شيبوب المرجع السابق ذكره .
(٢) الاستاذ محمد رفعت فى المصدر السابق ص ١١٨ طبعة ٩٣٤ وص ٧٢ طبعة ٩٣٥ .
(٣ و ٤) الامير عمر طوسون البعثات العلمية فى عهد محمد على ثم فى عهدى عباس الاول وسعيد ص ١٦٣ .
(٥) " الهلال " ص ٦٣٣ جزء ٦ ابريل ١٩٣٧ مجلد ٤٥ .
(٦) الاستاذ محم قاسم " ديوان المعارف قصة نشأته وتطوره " الهلال ص ٧٠٠ الجزء المذكور .
(٧) الاستاذ محمد رفعت " تاريخ مصر السياسى " ص ١٢٥ طبعة ١٩٣٥ .
(٨) " الهلال" ابريل ١٩٣٧ ص ٥٣٣ .
(٩) الاستاذ صديق شيبوب البصير ٣ اغسطس ٩٤٠ .
(١٠، ١١) الدكتور ابو شادى مجلة " ادبى " الكتاب الرابع اكتوبر - ديسمبر ١٩٣٦ م ١ ص ٤٥٤ .
(١٢) ادهم " لماذا اناملحد ؟ " ص ٤ .

اما والده فهو احمد بك ادهم وكان اميرالاى فى الجيش التركى سابقا (١) خاض غمار الحرب متنقلا بين ميادينها حتى اذا انتهت ودخل الحلفاء الاستانة انضم الى مصطفى كمال وسافر معه الى بلاد الاناضول ليبدأ فيها جهاده مع زعماء الحركة الاستقلالية ولكنه لم يلبث ان انفصل عنهم عندما اخذ زعيم تركيا الحديثة ينهج فى حكمه منهجا اصلاحياً حراً فانتقل احمد ادهم الى الاسكندرية واقام فيها الى حين وفاته (٢) فى ١٢ اكتوبر سنة ١٩٣١ وكان ذا ميل للادب والعلم صديقا للكثير من معاصريه فى السياسة والادب والعلم كالزهاوى والسيد عبد الحميد الزهراوى والشيخ الجبالى ورفيق بك العظم وغيرهم .

أما والدته فالمانية ، وهى السيدة ايلين فانتهوف ، وكانت مسيحية بروتستانتية دات ميل لحرية الفكر والتفكير (٣) رضيت بالزواج من رجل يختلف فى دينه عن دينها ولا يعرف عند العقيدة حرية فكر ، فهو مسلم محافظ من اشد المحافظين . وهى ابنة البروفسور فانتهوف Vant hoff الشهير عضو اكاديمية العلوم البروسية (٤) وهو بولونى بدمه من ناحية والدته التى هى من جهة والدها سلافية من التشك ، ومن هنا يجرى فى عروقه الدم السلافى والجرمانى .

- ٢ -

ولم يكد الطفل يستنشق نسيم الحياة ويحظئ من تربية والدته وعناية بنتيها المسيحيتين اللتين رزقت بها من زوج اخرقبل زواجها بوالد هذا الطفل حتى حرمه الموت من عطف والدته فتوفيت وهو فى الثانية من سنى حياته (٥) فعاش ايام طفولته حتى اواخر الحرب العظمى مع اختيه من أمه فى الاستانة (٦) .

وهنا تتجلى البواعث الاولى للثورة العنيفة التى هزّت كيان هذا الطفل فيما بعد واثرت فى نفسه اشد الاثر ، وأسلمته الى حيرة جامحة انطلقت به فى ميادين من الفكر جديدة شائكة الطريق فكيّفت عقله تكييفا لم يكن منتظراً.

كان الطفل ساذجا يسهل انطباع كل شئ فى ذهنه الفض عندما وجد نفسه حائراً بين عقيدتين تتجاذبانه جذبا وتدفعانه دفعا ، كل فى طريقها ، كانت اختاه - وقد نالتا قسطا كبيرا من التعليم فى كلية الأميريكان بالاستانة - لا تثقلان عليه بالتعليم الدينى المسيحى وكانتا قد درجتا على اعتبار ان كل ما تحتويه التوراة والإنجيل ليس صحيحاً (٧) وكانت الى جانب هذا ناحية اخرى هى ناحية التربية الدينية الاسلامية التى أخذه بها ابوه فلما لم تساعده ظروف استقراره والزمته الحرب ان يخوض غمارها عهد بتربية الطفل الى زوج عمته الشريف عمر بن هزاع

---

(١) الدكتور ابو شادى ، مجلة ادبى ، العدد المذكور .
(٢) الاستاذ صديق شيبوب البصير ٣ اغسطس ١٩٤٠ .
(٣) ادهم . لماذا أنا ملحد ؟ ص ٣ .
(٤) الدكتور ابو شادي مجلة أدبى ، الكتاب الرابع ، اكتوبر ديسمبر ١٩٣٦ مجلد ١ .
(٥)،( ٦) ، ( ٧) ادهم لماذا انا ملحد ص ٣، ٤ .

وكان من اشراف العرب لا يقل عن والد الطفل تمسكا بالدين وشدة فى الاخذ باحكامه وتعلقا بتعاليمه ، وكان محافظا الى ابعد حدود المحافظة فقام بتربية الطفل وملاحظته من الوجهة الدينية ومطالبته بقضاء فروض الدين . ولم يكن هذا القائم بتربيته ملاحظا المؤثرات القوية التى تسيطر على ذهن الطفل وتتجاذب خواطره وتتغلغل فى صميم نفسه .

كان يذهب مع زوج عمته الى المسجد لقضاء صلاة الجمعة . ويصوم رمضان ويصلى التراويح (١) ويقوم بحفظ القرن . كل ذلك فى الوقت الذى كانت فيه اختاه تلقنانه تعاليم المسيحية وتسيران به كل يوم أحد الى الكنيسة (٢) .

كانت الصلاة تفرض عليه فرضا دون ان يعرف الحكمة منها وكانت تفرض عليه بالأذى وهو طفل صغير فيؤديها اداءً اليا لا يفهم منه عظمتها " وانها لكبيرة الا على الخاشعين " (٣) وليست الصلاة هى الصورة المعهودةمن القيام والركوع والسجود والتلاوة باللسان خاصة التى تسهل على كل صبى مميز ان يتعود عليها والتى تشاهد من المعتادين عليها الاصرار على الفواحش والمنكرات واجتراح الاثام والسيئات . وأى قيمة لتلك الحركات الخفيفة فى نفسها حتى يصفها رب العزة والجلال بالكبر الا على الخاشعين ؟ وانما جعلت تلك الحركات والأقوال صورة للصلاة لتكون وسيلة لتذكير الغافلين ، وتنبيه الذاهلين ، ودافعا يدفع المصلى الى ذلك التوجه المقصود الذى يملأ القلب بعظمة الله وسلطانه (٤) .

كانت هذه الشدة من جانب ابيه تارة ، وزوج عمته تارة اخرى من ناحية . وكانت الملاينةوالسهولة اللتان اتبعتاهما اختاه فى بث التعاليم المسيحية فى نفسه من ناحية اخرى معتمدتين على المحبة التى كان يكنها لهما وعلى الوقت الذى كان يقضيه اليهمافيجذبانه اليهما بالقصص والمطالعة . كان كل ذلك تمهيداوليا للثورة التى اندلع لهيبها بعد ذلك فى نفسه .

وكان محرما عليه الخروج والاختلاط مع الاطفال الذين هم من سنه ، فكان من اثر هذا التحريم الفردية التى ابعدته عن الجماعة فيما بعد (٥) وحببت اليه الانزواء والانطواء على نفسه . فطالع وهو ابن الثامنة مؤلفات عبد الحق حامد وحفظ الكثيرمن شعره . وعبد الحق حامد هو زعيم حركة تنقية الادب التركى من روح المحاكاة للأدب الاوروبية وكان اخراجه لديوانه " صحراء " فى سنة ١٨٧٩ مقدمة لهذه الحركة فاحدث ضجة عظيمة (٦) .

وكان كلفا بالقصص الادبية يتلو ليلزاك وجى دى موباسان وهيجو آثارهم المترجمة ولحسين رحمى الروائى التركى المشهور قصصه (٧) .

---

(١) ، (٢) – أدهم لماذا انا ملحد ص ٣ – ٤ .

(٤) تفسير الشيخ محمد عبده للقرآن الحكيم عن كتاب الاسلام والتجديد فى مصر تاليف الدكتور تشارلس ادمس وتعريب الاستاذ عباس محمود ص ١٦٢ .

(٥) ادهم لماذا انا ملحد ؟ ص ٤ .(٦) ادهم رداسته عن عبد الحق حامدمجلة " الحديث " سنة ١٩٣٨ راجع ص ١٠ ، ١١ .

(٧) ادهم لماذا انا ملحد ؟ ص ٤ .

كان ذلك فى سنة ١٩١٩ وكان العالم قد اصطلى بنار الحرب العالمية اربع سنوات هزّت كيان هذا العالم وزعزعت عروشا ، وقوضت دعائم ، وهدت قوى ، وبثت فى النفوس ما بثت من الانكباب على الملذات وانتهابهافزاغت العقول ، وطاشت الافكار ، وتقطعت الاواصر واندفعالناس فى تيارات جارفة ونشأت مذاهب اجتماعية شتى وثورات فكرية مختلفة واستيقظت شعوب فهبت تطالب بحقوقها ، وكأنما نامت فتنة الحديد والنار لتستيقظ حركة الاقلام والالسن ونهب نزوات النفوس .

وكانت الدولة العثمانية فى عهدها الاخير امبراطورية مفككة الأوصال خاضعة لنفوذ الاجانب . فيها مرتع لاصحاب المغامرة والوشاية . فلماخرجت من الحرب الكبرى مغلوبة على امرها ونزل قواد الحلفاء على ضفاف البوسفور . قيل ان " مريض اوروبا " قد قضى (١)، استسلم حكام تركيا يومئذ ولكن الشعب لم يستسلم ، ورأى الكثيرون من احرارها ان عليهم رسالة يجب تاديتها الى امتهم هى انقاذها ، فهبوا الى واجبهم يقودهم رجل هيأته الاقدار لهذه الرسالة العظيمة وقام الشعب يؤازرهم وتألفت الجمعية الوطنية الكبرى واختير هذا الرجل رئيسا لها فقامت تعارض كل ما يصدره السلطان فى الاستانة وعدت هذا السلطان اسير الاعداء فاصدر السلطان حكما باعدام رئيس الجمعية وانصاره ،وصدرت فتوى من شيخ الاسلام فى الاستانة باباحة دم هذا الرجل ودم اعوانه ، وقرر السلطان جائزة مالية كبرى لمن يقتل هذا الرجل او يأتى به اليه كما اعلن حسن الجزاء فى الدنيا والاخرة لمن يقتل فردا من افراد هذه الجماعة .

كانت الاقدار قد هيأت لتركيا حياة جديدة وهى مشرفة على الموت ، وما كان لأحد ان يقدر لها الحياة بعد ان دب فيها الفساد فى كل ناحية من نوحيها وبترت اعضاؤها عضوا بعد عضو . هيأت لها الاقدار الحياة فبعثت لها هذا الرجل الحديدى " مصطفى كمال " فبعث منها امة حية كل الحياة . جديدة كل الجدة ، منقطعة فى حاضرها عن ماضيها ، ولم يكن هذا الرجل بالقائد الحربى المظفر فحسب بل كان مصلحا اجتماعيا قلب نظم هذه الامة واوضاعها وحطم كل ما فى طريق غاياته من حواجز وقيود .

لم تكد تركيا تظفر بمعاهدة لوزان فى يوليو سنة ١٩٢٣ وتسترد ما فقدته من ولاياتها وتعترف لها الدول ، وذلك على يد سياسيها " عصمت اينونو " حتى أعلنت الجمهورية التركية وانتخب زعيمها الحديدى رئيسا لها فقبض على امورها بيد من حديد وأبطل الخلافة وأبعد الخليفة ، وفصل الدين عن الدولة ، وعمل على ترجمة القرآن الى اللغة التركية واحلال هذه اللغة فى الصلوات والأدعية محل اللغة العربية ، وأمر برفع النقاب عن المرأة وساعد على نهضتها واشركها فى الاعمال العامة ، ومحا الطربوش والعمامة واستبدل القبعة بهما ، وأبطل المحاكم كما ألغى وزارة الاوقاف ، واغلق التكايا وطرد الدراويش .

---

(١) الاستاذ فؤاد صروف مشاهدات فى تركيا الحديثة ، المقتطف ص ٣٣٦ مجلد ٨٣ .

وقف مرة كرئيس للجمهورية فقال : " ان الغرض من التغيير الذى احدثناه ولا نزال جارين فيه هو ان نخول أهل هذه الجمهورية نظاماً اجتماعياً من أحدث النُظُم ومن اكثرها مطابقة للعصر الحاضر . يجب علينا ان نطرح كل فكر لا يتفق مع هذا المبدأ القيم . يجب ان نقتلع كل الخرافات من عقولنا والتعصبات من عاداتنا . عار على الامة الحية ان تعتمد على الاموات . لا أرضى ابداً ان تبقى فى المجتمع التركى المتمدن تلك العقول التى تنطلب خيرها الأدبى والمادى من شيخ قد يعمل على ضد ما تطلبه العلوم الحديثة .

يا اخوانى ! تعلمون ان تركيا لا يمكن ان يبقى شعبها دراويش ومشايخ وتلامذة الدراويش والمشايخ فان الشعب الحقيقى هو الشعب الذى يكون عضواً فى محفل الأمم المتمدنة (١) ، لقد غيّر تركيا كل التغيير ، واحدث من النظم ما كان حدوثه فى هذا الجزء من العالم الاسلامى بعيداً عن التصور ، وكان من أهم هذه التغييرات جعل الدين امراً شخصياً بين المرء وخالقه وان الحكومة نظام مدنى يعنى بمصالح الناس ولا شأن له فى السيطرة على ضمائرهم وعقائدهم ولا فيما هو من الفرائض المحضة كالصوم والحج أى ان الحكومة قائمة لاجل مصالح الناس الدنيوية كالأمن والتعليم والصحة وترقية الزراعة والصناعة والتجارة وحفظ المال والعرض والدم (٢) واباح للناس حرية العقيدة كما ابيحت للمرأة الحرية فى الزواج بمن تشاء ، وكان احد فلاسفة الاتراك " رضا توفيق " قد قام فى عهد الاتحاديين وطلب من مجلس " المبعوثان " سن قانون يطلق للترك حرية اختيار الدين الذى يريدونه ، فقام العلماء والمشايخ وسفهوا رأيه واهانوه فاضطر الى سحب اقتراحه (٣) .

سلخ تركيا من الشرق أو سلخ عنها شرقيتها وصبغها بالصبغة الاوروبية حتى لجأ الى تغيير الحروف العربية بالحروف اللاتينية ونقى اللغة التركية من كل دخيل . ووقف بالقوة فى وجه كل معارض لتطوراته ولم يتوان فى اتخاذ اشد صور العنف والقسوة مع كل من تحدثه نفسه بالثورة على هذه الثورة حتى استكان له الشعب واتخذ طريقه فى الدرب الذى سير عليه .

على ان هذه الثورة وان كانت تتفق فى مبادئها مع الكثير من الثورات الاصلاحية فهى تختلف بضحاياها . فالثورة الفرنسية فى القرن الثامن عشر والثورة الروسية فى القرن العشرين تنطقان بحروف دموية مما خلفتاه من دماء وضحايا ، ومن عسف وظلم ، ومن قسوة وارهاب . اما الثورة التركية فهى ثورة الى عنفها والى ارهابها تبدو باسمة رحيمة ليس فى اردانها لون الدم (٤) .

وكان الكتاب والمفكرون قد بدأوا يمهدون السبيل لهذا النظام الحديث ، ويعملون فى تغيير العقلية التركية وتكييفها التكييف الجديد ، وكان من اظهر الكتاب فى هذا المضمار " قابيل آدم " مؤلف " كتاب مصطفى كمال " الذى يقول فيه :

---

(١ ، ٢) المقتطف ، الجزء ٤ مجلد ابريل ١٩٣٦ ص ٤١٢ ، ٤١٣ .
(٣) الاستاذعزيز خانكى بك فى كتابه " ترك اتا تورك " ص ٦٩ .
(٤) الاستاذ سامي الكيالي يحث عن الغازي مصطفي كما في رحاب ثورته التجديدية . مجلة الحديث ص ١٩ عددينار ١٩٣٤ . مجلد ٨ .

" ان العقلية الاوربية هى العقلية التى تتسق وحاجات هذه الحياة الدنيا ونحن انما نتبع ما توحى الينا به هذه العقلية بحكم اننا موجودون فى هذه الحياة . اما العقلية الاسيوية ، فالعقلية التى تلائم الحياة الآخرة . فاذا انتقلنا الى الحياة الباقية فهنالك نتبع ما توحى به هذه العقلية (١) .

وكانت تركيا قد حاولت فى عهد السلطان سليم الثالث ان تندمج فى الاسرة المتحضرة الاوروبية ولكن كان للرجعيين يد طولى فى العمل على عرقلة هذه الحركة (٢) .

لهذا وجد الانقلاب الجديد ، كما وجدت هذه الاراء ، أرضا خصبة فى نفوس شباب تركيا فتلقوها متحمسن شاعرين بان كيانهم المعنوى قد استعاد مكانته .. حدث مرة ان كان الاستاذ رضا توفيق يلقى محاضرة فى جامعة الأستانة عن الآداب التركية القديمة فذكر ان الشعراء العثمانيين الاولين استقروا * اشعارهم من المصادر الفارسية فانبرى له طالب وقال : " انك يا سيدى تهين تركيا " ثم التفت الى زملائه الطلبة وصرخ فيهم " ان هذا الاستاذ الذى لطخ شرفنا الوطنى بتوقيعه معاهدة سيفر يقترف الان جريرة سوداء بانكاره مصدر الشعراء الاتراك " وعقد الطلبة بعد ذلك اجتماعات طلبوا فيها اقالة استاذهم .

رضى الشباب فى حماسة قوية بهذا الانقلاب ، كما رضى به بعض رجال تركيا الذين كانت قد أثرت فى نفوسهم المدنية الغربية واستهوتهم حضارتها . على ان هذا لم يرض به المحافظون بل ثار عليه بعض العاملين على انقاذ تركيا فهجروا وطنهم ، وكان احمد أدهم احد هؤلاء الساخطين فعاد الى مصر ومعه ولده اسماعيل واقام بالاسكندرية . وكان ذلك فى سنة ١٩٢٣ .

يتبع : حسن كامل الصيرفى

---

(١) ص ٣ من كتاب قابيل آدم المشار اليه راجع مقال ( فلسفة الانقلاب التركى الحديث ) للاستاذ اسماعيل مظهر فى مجلة ( العصور ) مجلد ١ عدد اكتوبر ١٩٢٧ ص ١١٥ .

(٢) ادهم ، مجلة ادبى ، الكتاب الرابع ، اكتوبر . ديسمبر سنة ١٩٣٦ ص ٤٨٥ .

* هكذا في الأصل والسياق يقتضي أن تكون " استقوا" .

# فى الخضـــم

بقلم
الشاعر الرمزى
حسن كامل الصيرفى *

- ٤ -

فى الفترة بين سنة ١٩١٩ الى ١٩٢٣ ظل الفنى اسماعيل قابعاً فى دار ابيه بالاستانة - قبل عودته الى مصر - يتلقى الالمانية والتركية على يد اختيه والعربية على يد زوج عمته ، وفى هذه الفترة قرأ لداروين أصل الانواع واصل الانسان وخرج من قراءتهما مؤمناً بالتطور ، وقرأ مباحث هكسلى وهيكل والسرليل وبيجهوت وهو لم يتجاوز الثالثة عشرة من سنى حياته واكب على القراءة لديكارت وهوبس وهيوم وكانت ، وان لم يكن يفهم كل ما يقرأ لهم وخرج من هذه الفترة نابذا نظرية الارادة الحرة ، وكان لسبينوزا وارنست هيكل الاثر الاكبر فى ذلك ، ثم نبذ عقيدة الخلود (١) .

عاد الفتى من تركيا ، ولكن بعد ان كان قد رأى بعينيه بعض مظاهر هذا الانقلاب واستمع لأناشيد الحماس تنطلق بها عقيرة الشباب الجديد . وقرأ ما قرأ ، فانطبعت فى ذهنه صور جديدة ، وتجاوبت فى نفسه اصداء لم تزل تهتف به بين الحين والحين حتى استجاب الى ندائها .

عاد الفتى الى مصر ، ولكن فى نفسه أشياء من الثورة التى رأها وسمع بها ، اشياء ان تكن خفية فى نفس هذا الفتى الا ان لها تفاعلها فى هذه النفس ، وسريانها فى هذا العقل حتى يحين حينها ويحل أجل شبوبها واندلاعها .

عاد الى مصر ، مسقط رأسه " الاسكندرية " فأدخله ابوه مدرسة يتلقى فيها علومه الابتدائية . ولما احس الوالد ان فى نفس والده ما يكره له وما يأباه عليه ، ورأى منه اعراضاً عما يفرض عليه من فروض دينية ، ولقى منه مجادلة له واعترافاً بايمانه بمذهب النشوء والارتقاء لم ير الوالد طريقاً لاصلاحه الا ارساله الى القاهرة والحاقه بمدرسة داخلية ليقطع عليه اسباب المطالعة ، فاتيحت له الفرصة الى ذلك فى ايام العطلة المدرسية كل اسبوع اذ كان

---

* الحديث ، ابريل ١٩٤١ ، ص ١٢٥ وما يلى .
(١) ادهم لماذا انا ملحد . ص ٤ - ٥ .

يتردد فى يومى الخميس والجمعة على دار الكتب المصـرية يطالع فيها ما يقـع تحت يده من المؤلفات الالمانية والتركية (١) .

كان يشعر وهو فى المدرسة انه فى جو اضيق من رحاب نفسه ، وكانت معلوماته فى الرياضيات والعلوم والتاريخ - بالرغم من انه لم يكن يتجاوز الرابعة عشرة من سنى حياته - تؤهله لأن يكون فى اعلى فصول المدارس الثانوية ، ولكن عجزه فى العربية والانجليزية كان يقعد به عن ذلك (٢) .

- ٥ -

وكأنما شاءت الأقدار ان تهئ للثورة الكامنة فى نفس الفتى عوامل جديدة فى محيطها الجديد لتتوقد شعلتها ويتوثب لهبها ، فلم تكد سنة ١٩٢٥ تطلع حتى حدث حادث اهتزت له جنبات العالم العربى باسره ، ذلك هو صدور كتاب " الاسلام واصول الحكم " الذى الفه الاستاذ على عبد الرازق القاضى - وقتذاك - بمحكمة المنصورة الشرعية فاثار ضجة كبرى لم يسبق ان قامت ضجة مثلها حول كتاب سوى كتاب " تحرير المرأة " الذى اخرجه قاسم امين (٣) منذ اكثر من ثلاثين عاماً . وقد أراد مؤلف كتاب " الاسلام واصول الحكم " ان يبين ان الخلافة ليست مقاماً دينياً وان السلطة التى اعطيت لرجال الدين كانت اكبر خطيئة فى تاريخ الاسلام (٤) وان الدين الاسلامى برئ من تلك الخلافة التى يتعارفها المسلمون ويرئ من كل ما هيأوا حولها من رغبة ورهبة، ومن عز وقوة . والخلافة ليست فى شئ من الخطط الدينية ،كلا ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز الدولة . وانما تلك كلها خطط سياسية صرفة لا شأن للدين بها ، فهولم يعرفها ولم ينكرها . ولا امر بها ولا نهى عنها وانما تركها لنا لنرجع فيها الى احكام العقل وتجاوب الأمم وقواعد السياسة . وان لا شئ فى الدين يمنع المسلمين ان يسابقوا الامم الاخرى فى علوم الاجتماع والسياسة كلها وان يهدموا ذلك النظام العتيق الذى ذلوا له واستكانوا اليه ، وان يبنوا قواعد ملكهم ونظام حكومتهم على احدث ما انتجت العقول البشرية وامتن ما دلت تجارب الامـــم على انه خير اصول الحكم (٥) .

ولم يكد الكتاب يظهر للناس حاملا رأى صاحبه حتى انبرت الاقلام للرد عليه ، وهوجم المؤلف فى عقيدته ، ونشأت عن ذلك ازمة برلمانية (٦) وخرج وزير من الوزارة القائمة وقتذاك ولم يقف الامر عند حد الجدل وما وجه الى على من المطاعن المرة اللاذعة ، بل تجاوز ذلك الى شئ آخر . ففى ١٢ اغسطس سنة ١٩٢٥ اجتمعت هيئة كبار العلماء بصفة تأديبية برياسة شيخ الازهر وحضور اربعة وعشرين من اعضاء هيئة كبار العلماء للنظر فى التهم التى

---

(١) ، (٢) أدهم لماذا أنا ملحد ص ٤ - ٥ .

(٣) راجع مجلة الهلال ، ص ٢٠م ٢٢ نوفمبر ١٩٢٨ .

(٤) الاستاذ طاهر خيري والدكتور ج . كيفماير فى كتاب " زعماء الادب العربى المعاصر ، ص ٩

Leaders in contemporary Arabic literature.

(٥) كتاب " الاسلام واصول الحكم " ص ١٠٣ الطبعة الثانية .

(٦) كتاب " زعماء الادب العربى المعاصر " ص ٩ .

وجهت الى الشيخ على والى كتابه ، واصدرت حكماً اجماعياً بان الكتاب حوى اموراً مخالفة للدين ، وقررت ان مؤلفه سلك مسلكا " لا يصدر من مسلم فضلا عن عالم " وقررت الهيئة المذكورة اخراجه من زمرة العلماء ومحو اسمه من سجلات الجامع الازهر والمعاهد الاخرى ، وفصله من وظيفته ، وعدم اهليته للقيام باية وظيفة عمومية دينية كانت أو غير دينية (١) .

ونظرت الدعوى ايضا امام مجلس تأديب القضاة الشرعيين ، ودفع المؤلف بعد اختصاص هيئة كبار العلماء بالنظر فى الموضوع لأن عبارة " ما لا يناسب وصف العالمية " تشير الى الامور الخاصة بالسلوك الشخصى . ولكن المجلس حكم باختصاص تلك الهيئة لان هذه العبارة جاءت مطلقة من كل قيد بحيث لا يمكن قصرها على السلوك الشخصى فضلاعن ان وصف العالمية يفترض بذاته فوق السلوك الشخصى كفاية علمية خاصة وعقيدة معينة ، فدفع المؤلف بان له حرية الاعتقاد المطلق التى كفلهاالدستور المصرى ، واجاب المجلس بان ضمان الحرية محدود بالنص على ان يكون ذلك فى حدود القانون ، وان الذى حظره الدستور انما هو المحاكمة الجنائية او الحرمان من الحقوق الوطنية بسبب اعتناق دين او عقيدة ما. وقرر المجلس تأييد حكم الهيئة فعزل من منصب القضاء (٢).

- ٦ -

كان لهذا الحادث اثره فى نفس الفتى العائد من تركيا التى الفت الخلافة وعملت على محو آثارها . كماكان له اثر فى نفوس الناس حتى لم يمض عام على ذلك حتى قامت الضجة الكبرى حول كتاب " فى الشعر الجاهلى " ، الذى اخرجه الدكتور طه حسين فى ابريل سنة ١٩٢٦ وهبت عاصفة قوية من النقد لهذا الكتاب والثورة على مؤلفه وعلى الجامعة المصرية ،وطالب الكثيرون بفصل المؤلف من الجامعة ومصادرة كتابه والتحقيق مع ولاة الامر فى الجامعة على اباحة مثل هذه التعاليم ونشرها بين الطلبة وهى تنفق من مال دولة دينها الرسمى الاسلام وابلغ الامر الى النيابة فحققت معه ولكنها بعد بحث ودرس حفظت الدعوى .

واثير الموضوع فى مجلس النواب ، وحمى وطيس المناقشة فيه ، وكاد يفضى الى ازمة برلمانية عندما طرحت الوزارة الثقة بها لولا ان تدخل بعض اصدقاء رئيس الوزراء(٣) وخيف ان تنال الثورة من الجامعة وهى حديثة العهد (٤) بعد ان اشرفت الحكومة عليها، وانتهى الامر بان صودر الكتاب الذى تحدى الشعور الدينى (٥) واعلن المؤلف انه مسلم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ، وقدم الى الجامعة استقالته فلم تقبل . ثم لما هدأت العاصفة رجع المؤلف الى كتابه فحذف منه فصلا واثبت مكانه فصلا واضاف فصولا وغير عنوانه بعض التغيير ونشره باسم " فى الادب الجاهلى " . لكن صدى الكتاب الاول وما حوى من رأى وما حدد فيه من اتجاهات فى دراسة الادب كان من المؤثرات القوية فى نفوس الباحثين بعده ، وتصدى للرد عليه كثير من الكتاب فمنهم من قصد الى

(١ ، ٢ ، ٣) كتاب " الاسلام والتجديد فى مصر " الدكتور تشارلس ادمس وتعريب الاستاذ عباس محمود ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٤٨ .

(٤) ادهم دراسته عن طه حسين ص ٢ راجع عدد ابريل ١٩٣٨ من مجلة " الحديث " .

(٥) الاسلام والتجديد فى مصر ص ٢٤٨ .

المناقشة ومنهم من قصد التجريح .

يقول الدكتور طه حسين : فكل امرئ منا يستطيع ان فكر قليلا ان يجد فى نفسه شخصيتين ممتازتين : احداهما عاقلة تبحث وتنقد وتحلل وتغير اليوم ما ذهبت اليه امس ، وتهدم اليوم ما بنته امس . والاخرى شاعرة ، تلذ وتألم ، وتفرح وتحزن ، وترغب وتغضب وترغب وترهب فى غير نقد ولا بحث ولا تحليل وكلنا الشخصيتين متصلة بمزاجنا وتكويننا لا نستطيع ان نخلص من احداهما . فما الذى يمنع ان تكون الشخصية الاولى عالمة باحثة ناقدة وان تكون الشخصية الثانية مؤمنة مطمئنة طامحة الى المثل الاعلى ؟ " (١)

ويقول ايضا : " نعم يجب حين نستقبل البحث عن الادب العربى وتاريخه ان ننسى عواطفنا القومية وكل مشخصاتها ، وان ننسى عواطفنا الدينية وكل ما يتصل بها (٢).

على هذا الاساس وضع الدكتور طه طريقته الجديدة فى درس الادب العربى ، واصطنع فى ذلك المنهج الفلسفى الذى استحدثه " ديكارت " فساورته الشكوك فى قيمة الادب الجاهلى فاهتدى بعد البحث الى " ان الكثرة المطلقة مما نسميه الادب الجاهلى ليس من الجاهلية فى شئ وانما هى منتحلة بعد ظهور الاسلام ، فهى اسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم واهواءهم اكثر مما تمثل حياة الجاهليين " (٣) وكان من اثر هذا التجرد فى البحث ان اضطر الى عرض آراء رآها هو ، مدى بها الشعور الدينى فى النفوس فاثارت الثورة العنيفة ، منها قوله : " للتوراة ان تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ، وللقرآن ان يحدثنا عنهما ايضا ، ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لاثبات وجودهما التاريخى فضلا عن اثبات هذه القصة التى تحدثنابهجرة اسماعيل بن ابراهيم الى مكة ونشأة العرب المتعربة فيها . ونحن مضطرون الى ان نرى فى هذه القصة نوعا من الحيلة فى اثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الاسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة اخرى (٤) وقد ردت النيابة بالحجج القوية عليورود اسمى ابراهيم واسماعيل مع كثير من النبيين والمرسلين فى آيات متعددة من القرآن الكريم وخاصة فى سورة آل عمران . ورأت النيابة ان المؤلف تورّط فى ذلك الرأى (٥) . وقد قبرر المؤلف فى التحقيق انه كمسلم لا يرتاب فى وجود ابراهيم واسماعيل . وما يتصل بهما مما جاء فى القرآن . ولكنه كعالم مضطر الى ان يذعن لمناهج البحث . فلا يسلم بالوجود العلمى التاريخى لابراهيم واسماعيل الا اذا ثبت وجودهما بالدليل العلمى (٦) .

- ٧ -

كان ظهور كتاب " فى الشعر الجاهلى " وكانت الضجة التى اثيرت حوله . كما كان ظهور كتاب " الاسلام

---

(١) السياسة الاسبوعية ، عدد ١٧ يوليه ١٩٢٦ .
(٢ ، ٣) فى الادب الجاهلى ، ص ٦٧ - ٦٤ .
(٤) فى الشعر الجاهلى ص ٢٦ .
(٥) راجع قرار النيابة فى كتاب فى الشعر الجاهلى ص ١٩ .
٦) الاسلام والتجديد فى مصر ص ٢٥١ .

واصول الحكم " وما اثير حوله ايضا من العوامل التى اثرت فى عقلية اسماعيل ادهم تأثيرا جديداً . ووجهته وجهات تفكيرية حرة ، او قل انها فتحت امامه السبيل للدرس على منهج جديد ، وساعدت على اظهار المؤثرات الخفية التى كانت تتفاعل فى نفسه منذ الطفولة فالصبا ، ودفعت تياراتها فاكتسحت فى نفسه كل شئ .

ثم صدرت فى سبتمبر سنة ١٩٢٧ مجلة " العصور " وقد بث بها محررها الاستاذ اسماعيل مظهر معنى حرية الفكر فى نفوس الناس ، وجعل شعارها " حرر فكرك من كل التقاليد والاساطير الموروثة حتى لا تجد صعوبة ما فى رفض رأى من الآراء ، او مذهب من المذاهب اظمأنت اليه نفسك ، وسكن اليه عقلك اذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضه " ، فحملت مشعل النور فى الشرق العربى ولقيت فى سبيلها هذا من رجال الثقافة الحديثة صدراً رحباً فى حين لقيت من غيرهم عنتاً وهدماً . على انها كانت خطوة جريئة فى الصحافة العربية مهدت الطريق امامها لغيرها واصدر الاستاذ سامى الكيالى فئ ( حلب ) مجلة " الحديث " تحمل مشعلا جديدا من النور فى سوريا ، واجتذب حول هذا المشعل كثيرا من رجال الفكر الاحرار فى مصر والاقطار الشرقية ، وصدرت بعد ذلك فى ( بيروت ) مجلة " الدهور " مترسمة خطى " العصور " كما اصدر الاستاذ سلامة موسى بعد اعوام " المجلة الجديدة " .

وفى هذه السنة كان اسماعيل ادهم قد أحس بكل ما كان فى صميم نفسه من ثورة ، ووجد ان المجال فى مصر ضيق لروحه فرحل عنها الى تركيا ليرى اثر الثورة الانقلابية التى شهد منذ اعوام ولادتها .

رحل بعد ان كان قد أكب على قراءة ما صدر من الكتب العلمية وما ظهر من الابحاث والمقالات فى مختلف المجلات لكتاب اشتهروا بالتجرد فيما يكتبون كالدكتور شبلى شميل والدكتور يعقوب صروف والفيلسوف الزهاوى والاستاذين اسماعيل مظهر وسلامة موسى ، وكانت مجلة "المقتطف " من اهم المدارس التى تلقى عنها كثيراً من ثقافته .

رحل الى تركيا فوجد الانقلاب الحديث قد آتى أكله ، وازدهرت الحركة الفكرية هناك واباح القانون التركى حرية الفكر ، فالقى بنفسه فى احضان هذه الحركة العلمية المزدهرة والتحق بعد مدة بكلية العلوم وتخرج فيها عام ١٩٣١ حائزا درجة " بكالوريوس علوم ، (١) وفى هذه الفترة ، أى فى اثناء اقامته طالبا بالجامعة ، تألفت هناك " جماعة نشر الالحاد " ، واصدت رسائل صغيرة كل منها فى ٦٤صفحةيبحث بعضها فى ماهية الدين ، وقصة تطور الدين ونشأته والعقائد ، وغير ذلك . وكان يحرر هذه الرسائل اعضاء الجماعة وهم طلبة فى جامعة الاستانة تحت ارشاد احمد زكريا بك استاذ الرياضيات بالجامعة والسيدة زوجته (٢).

وبعد تخرجه من الجامعة . اوفدته الحكومة التركية الى روسيا للتخصص فى بعثة تبادل الثقافة والصلات

---

(١) الدكتور ابو شادى مجلة " ادبى " ج ٤ م ١ ، ١٩٣٦ ص ٤٥٤ .
(٢) ادهم . لماذا انا ملحد ؟ ص ٥ .

بين الدولتين (١) فظل هناك يدرس الرياضيات وبجانبها الطبيعيات النظرية وكان سبب انصرافه للرياضيات نتيجة ميل طبيعي له حتى لقد فرغ من دراسة هندسة اوقليدس وهو ابن الثانية عشرة . وقرأ ليوانكاره وكلابن ولوباجفسكي مؤلفاتهم وهو ابن الرابعة عشرة . وكان كثير الشك والتساؤل فلما بدأ بهندسة اوقليدس وجده يبدأ من الاوليات وصدم اعتقاده فى قدسية الرياضيات وقتذاك فشك فى اوليات الرياضة وظل مضربا مدة الزمن عن تلقى الرياضيات منكبا على دراسة هوبس ولوك وبركلى وهيوم ، وكان الاخير اقربهم الى نفسه . وقد حاول الكثيرون اقناعه بان يكمل دراسته للرياضة . ولكن حدث بعد ذلك تحول عجيب فالتهم المعلومات الرياضية كلها فدرس الحساب والجبر والهندسة بضروبهاوحساب الدوالى والتربيعات ، ولكن الشك لم يغادره ،فسلم جدلا بصحة اوليات الرياضة ، وما انتهى من دراسته حتى عنى باصول الرياضة وكان هذا الموضوع سبب نواله درجة الدكتوراه فى الرياضيات البحتة من جامعة موسكو سنة ١٩٣٣ (٢) وكان قد نال الدبلوم العالى من معهد الطبيعيات الروسية عام ١٩٣٢ (٣) وتقدم للدكتوراه برسالته " ميكانيكية جديدة مستندة الى حركة الغازات وحسابات الاحتمال " (٤) وكانت رسالة فى الطبيعيات النظرية (٥) . واخذ فى العلوم وفلسفتها اجازتى Ph. D. و Sc. D. مع درجة الشرف ، كما غنم من الجامعة نفسها اجازة D. Litt. - بعد ذلك - بصفة فخرية تقديراً لبحوثه التاريخية والادبية (٦) .

واشتغل فى معامل البحث الطبيعى فترة فى لينغراد . فاستاذا مساعداً للطبيعيات النظرية بمعهد الطبيعيات الروسى الملحق بكلية العلوم بجامعة موسكو ، فاستاذاً للرياضيات العالية البحتة بجامعة سان بطرسبرج . وفى تلك الفترةوضع كتابه " العلم الرياضى والطبيعيات Mathematik und Physik كذلك وضع فى هذه الفترة كتابه " نظرية النسبية Die Grundlangen der Relativitaetstheirie " وقد صدر هذا الكتابان باللغة الروسية مع مقدمتين مستفيضتين بالالمانية . وفى كتابه الاخير تمكن من ان يدخل نظرية النسبية فى نطاق ميكانيكية الجديدة ، وان يجعلها متجانسة مع نظريته كجزء لابد منه (٧) .

وتوالت رسائله الى الجمعيات العلمية وخاصة الى اكاديمية موسكو العلمية واكاديميةالعلوم الروسية المتحدة للجمهوريات السوفيتية . وفى يوليو عام ١٩٣٤ كتب رسالته " الفعل الكهرطيسى " التى اعتبرت فى الدوائر العلمية من أهم المباحث ان لم يكن أهم مبحث علمى من طرازه خلال السنة (١٩٣٣ - ١٩٣٤) فدعته جامعة برلين فى المانيا وجامعات كونجسبرج بروسيا وميونخ ببافاريا وفينا بالنمسا لان يحاضر عنها . وفى اوائل عام ١٩٣٥ انتخب عضوا اجنبياً لاكاديمية العلوم لجمهوريات السوفييت المتحدة، وهى التى تضم مائة رجل من صفوة رجال العلم فى العالم عامة والروسيا خاصة . ثم دعى الى تركيا ليشغل كرسى الاستاذية للرياضيات العليا فى معهد " كما اتاتورك " للبحث العلمى فى انقرة (٨) .

---

(١) الدكتور ابو شادى مجلة ادبى ، العدد المذكور .

(٢) ادهم لماذا انا ملحد ؟ ص ٥ ، ٦ .

(٣ ، ٤) الدكتور ابو شادى مجلة ادبى الكتاب الرابع اكتوبر . ديسمبر سنة ١٩٣٦ ص ٤٥٤ .

(٥) ادهم لماذا انا ملحد ؟ ص ٦ .

(٦ ، ٧) الدكتور ابو شادى ، مجلة ادبى ، العدد المذكور ، ص ٤٥٥ .

(٨) المصدر السابق وكذلك راجع ما كتبه الصحافي العجوز الاستاذ توفيق حبيب في جريدة الاهرام ٣ اغسطس ١٩٤٠ تحت عنوان علي الهامش .

وهنالك فى الروسيا اوجدت البئة الجديدة ما يحرك فى نفسه كوامنها . والروسيا هى مهد الثورة التى هزت العالم فى القرن العشرين وما يزال يرجف لذكرها . الثورة التى قضت على العقائد والافكار وكان كاتبها الاكبر مكسيم جوركى داعيتها فى ادبه . وكانت تحمل هذه الافكارثورة على الدين ورجاله فاثرت فى الكثير ممن اتصلوا بهذه البيئة كما سرت الى كثير من اقطار العالم . هنالك بثت هذه البيئة الجديدة فى نفس هذا الشاب ثورة عنيفة زعزعت فى نفسه العقيدة وساعدت الشكوك التى طالما ساورته على ان تجد لنفسها متنفساً فكان ماكان وهو بعيد عن ان يجد لنفسه هادياً .

وكان معرفته باللغة العربية وموالاته على تلقى دروسها وهو فى الاستانة على يد الاستاذ اسماعيل صائب مدير دار كتب " بايزيد " (١) من المقدمات التى ايقظت فيه روح الميل للشرقيات فانه عندما اشتغل فى وضع كتابه " العلم الرياضى والطبيعيات " اضطر الى دراسة تاريخ العلم الرياضى فساقه ذلك الى دراسة المراجع العربية لمعرفة اثر العرب والمدنية الاسلامية فى الرياضيات وتقدمها فاثار ذلك فى نفسه ميلا الى المباحث الشرقية فاخذ يطرقها فى كثير من الرسائل ويبعث بها الى المجلات الاستشراقية فى تركيا والمانيا وروسيا (٢) وعرف الادباء والمؤرخون فضله منذ عهدت اليه جامعة فريبورج الاشراف على الطبعة الاخيرة من كتاب المستشرق سبرنجر sprenger عن حياة محمد عليه السلام Das Leben und Die Lehre den Muhammed بالملاحظات والانتقادات العلمية (٣) وكان من الاسباب التى دعته الى البحث فى تاريخ العرب فى الجاهلية وفى حياة الرسول ، فاكب مدة من الزمن على التدقيق فى معظم المصادر العربية والتركية والفارسية مخطوطة ومطبوعة فى دور الكتب فى البلدان التى زارها . وراجع كل ما كتبه المستشرقون بالالمانية والروسية والايطالية والانجليزية والفرنسية وطابق ما ذهبوا اليه على المصادر الشرقية (٤) حتى اخرج كتابه " تاريخ الاسلام Islam Tarihi " باللغة التركية وقد نشرته " جماعة تمحيص التاريخ الشرقى " .

وفى اوائل سنة١٩٣٦ انتخب وكيلا للمعهدالروسى للدراسات الاسلامية وانعمت عليه جامعة موسكو بدرجة الدكتوراه الفخرية فى الآداب " التاريخ الاسلامى والاداب العربية " ، وكانت كلية الآداب فى تركيا قد سعت لدى ادارة جامعة الاستانة واستصدرت منها قراراً بان تعهد اليه بكرسى التاريخ الاسلامى على أن يذهب الى البلدان العربية للتوسع فى دراسة حياتها الاجتماعية والادبية قبل ذلك وليعمل على زيادة التبحر فى اللغة العربية (٥) فهبط مصر وقام بالاسكندرية . وكأنما كان نداء الارض يهتف به ..

حسن كامل الصيرفى

---

(١) ادهم من مصادر التاريخ الاسلامى ص ٦ .
(٢) الدكتور ابو شادى مجلة ادبى ، العدد المذكور .
(٣) الصحافيالعجوز ، جريدة الهرام فى ٣ اغسطس ١٩٤٠ .
(٤) ادهم فمن مصادر التاريخ الاسلامى ص ٦ .
(٥) الدكتور ابو شادى والصحافى العجوز في مجلة أدبى وجريدة الأهرام .